

الضوابط المنهجية والمعرفية الحاكمة لعلم التزكية -خطوة نحو التجديد -

Methodological and cognitive criteria that frame the purification's science -with a view to renovation-

"aldawabit almanhajiat walmaerifat alhakimat lieilm altazkiat -khatawat nahw
altajdidi-"

¹ محمد فرحاوي *

مختبر الأبحاث والدراسات في العلوم الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، 20000،
المغرب.

¹ Mohamed FARHAOUI

Laboratory of research and Islamic science studies, Literature and human science Faculty,
Hassan II University, Casablanca, 20000, MOROCCO.

 farhaoui3@gmail.com

 ORCID ID : <https://orcid.org/0000-0002-1289-9434>

 فريد شكري، المشرف

مختبر الأبحاث والدراسات في العلوم الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، 20000، المغرب.

² Farid CHOKRI; the supervisor

Laboratory of research and Islamic science studies, Literature and human science Faculty,
Hassan II University, Casablanca, Casablanca, MOROCCO.

 chokrifarid@gmail.com

 ORCID ID : <https://orcid.org/0000-0002-1309-577X>

تاريخ الاستلام: 2022/06/26 تاريخ القبول: 2022/06/28 تاريخ النشر: 2022/06/30

 لتوثيق هذا المقال: أسلوب إيزو 690-2010

فرحاوي، محمد، شكري، فريد، جوان 2022. الضوابط المنهجية والمعرفية الحاكمة لعلم التزكية -خطوة نحو التجديد - . مجلة التراث، المجلد 12، العدد 02، من ص 136، إلى ص 167. [ISSN: 0339-2253 E-ISSN 2602-6813].

TO CITE THIS ARTICLE: Style ISO 690-2010

FARHAOUI, Mohamed, CHOKRI, Farid, June 2022. Methodological and cognitive criteria that frame the purification's science -with a view to renovation-. AL TURATH Journal. volume 12, issue 02, P 136, P167. [ISSN: 0339-2253 E-ISSN. 2602-6813].

تنبيه:



ما ورد في هذه المجلة يعبر عن آراء المؤلفين ولا يعكس بالضرورة آراء هيئة التحرير أو الجامعة وتخضع كل منشورات للحماية القانونية المتعلقة بقواعد الملكية الفكرية، ويحمل أصحابها فقط كل تبعات مؤلفاتهم.



Attention:

 What is stated in this journal expresses the opinions of the authors and does not necessarily reflect the views of the editorial board or university. All publications are subject to legal protection related to intellectual property rules, and their owners only bear all the consequences of their literature.

Open Access Available On: <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/323>



V .4 .0

*المؤلف المرسل: محمد فرحاوي: farhaoui3@gmail.com



ملخص:

تطرت في هذه الدراسة لموضوع الضوابط المنهجية والمعرفية الحاكمة لعلم التزكية في القرآن الكريم، وذلك بهدف تقنين عملية الارتقاء بالنفس في سلم التزكية. وقد عاجلت إشكالية مدى استيعاب المفهوم الذي يعرضه القرآن الكريم للتزكية، وضوابطه المنهجية والمعرفية في الفهم والتمثل والتعامل. وقد نهجت خلال هذه الدراسة المنهجين الاستقرائي والتحليلي، فمكنت الضوابط المنهجية من ضبط تصور المكونات المتدخلة في عملية التزكية من نفس وأوصاف، ثم بيان منهج تزكية النفس، وأخيرا حصر المتدخلين في تحفيز انحراف النفس عن نتائج تزكيته. أما الضوابط المعرفية فقد بينت مركزية التقوى في مجموع الأوصاف المطلوبة، وكذا خارطة الترقى في سلم التزكية، وأخيرا السبيل للحفاظ على مكتسبات هذه العملية.

الكلمات المفتاحية: العلوم الإسلامية، المعرفة، مقاصد القرآن، التزكية، المصطلحات.

تصنيفات JEL: A32, D63, Z12

Abstract:

In this study, I approached the subject of the methodological and cognitive criteria that frame the purification science, in order to formalize the soul upgrading operation in purification ranks.

I have thus treated the problem related to the comprehension's extent of of the purification Koranic concept, and his methodological and cognitive criteria governing the understanding, the assimilation, and the behaviour.

And I used the analytical and inductive methodology for this, in fact, the methodological criteria make it possible to adjust the perception of the components involved in the purification process like the soul and benign descriptions. And the cognitive criteria indicated the centrality of piety in the sum of the required benign descriptions, andalso the upgrade map in soul purification ranks, and finally, the way to preserve this process's gains.

Keywords: Islamic sciences, knowledge, Koran's objectives, purification, lexicon.

JEL Classification Codes: A32, D63, Z12

Résumé:

J'ai abordé dans cette étude le sujet des critères méthodologiques et cognitifs qui encadrent la science de la purification, afin de formaliser l'opération de revalorisation de l'âme dans les rangs de la purification.

J'ai ainsi traité la problématique liée à l'étendue de la compréhension du concept coranique de purification, et ses critères méthodologiques et cognitifs régissant la compréhension, l'assimilation et le traitement.

Et j'ai utilisé pour cela la méthodologie analytique et inductive, en effet, les critères méthodologiques permettent d'ajuster la perception des composants impliqués dans le processus de purification, comme l'âme et les descriptions bénignes. Et les critères cognitifs indiquaient la centralité de la piété dans la somme des descriptions bénignes requises, ainsi que la carte de mise à niveau dans les rangs de purification de l'âme, et enfin, la manière de préserver les acquis de ce processus.

Mots clés: Sciences islamiques, savoir, objectifs du coran, purification, lexique..

JEL Classification Codes: A32, D63, Z12

لقد خلق الله الناس وأرسل إليهم الرسل وأنزل معهم الكتب ليستنبوا بنور الوحي وليسترشدوا بهديه، ورتب على التزكية الناس لأنفسهم الفلاح، ورتب على نقيضها الخيبة لما قال سبحانه { **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (*) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا** } (الشمس 9 و10)؛ لذلك أولى القرآن الكريم أهمية كبرى لبيان حقيقة النفس، وقواعد تفاعلها مع الحق والناس، وكذا بيان منهج تزكيتها والسمو بها إلى ما أراده رب العزة منها؛ حتى أنه سبحانه جعل ثاني مهام النبوة التزكية، وكان أول من عُني بها النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم، مصداقا لقوله تعالى { **كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ** } (البقرة 151).

فكانت التزكية بذلك هي اللبنة الواجب اعتبارها وضبط أبعادها لإنتاج أفراد صالحين في المجتمع، فكرا ومعاملة؛ حيث إنها تضبط منهج تلقي الناس وفهمهم للإخبار المضمّن في الوحي، وتضبط أيضا نظرتهم إلى أنفسهم وحالهم من خلاله، وأخيرا التعامل مع الآخرين بمقتضاه.

غير أن صعوبة تجلّة مفهوم التزكية جعل التعامل وفقها بين غال فيها إلى درجة إدخال ما لم يُسمع به في الدين فيها، وبين عدم اعتبارها إلا من خلال امتثال الأوامر دون دراية بخبايا النفس ومنهج تزكيتها؛ لهذا تمثلت إشكالية البحث في مدى استيعاب المفهوم الذي يعرضه القرآن الكريم للتزكية، وضوابطه المنهجية والمعرفية في التلقي والفهم، وفي التمثل والتفاعل مع الناس، وتوظيفه في عملية بناء الفكر.

ويقوم النظر إلى هذه الإشكالية على تداول مجموعة من الأسئلة من قبيل: ما هي مكونات التزكية؟ وما عوامل الانحراف عنها؟ وكيف أبرزها الوحي أفرادا وجمعا؟ وما هي الأوصاف التي يأمر الوحي بالانصاف بها؟ وما خارطة التزكية فيها؟ وكيف نحافظ عليها؟

وأعني بالضوابط سمي الإحكام والاطراد، وأعني بالمنهجية الأوصاف الشكلية - من قبيل الاشتراطات وغيرها - المؤطرة للشق المعرفي، وأما المعرفية فهي كل ما خرج عن وظيفة الوصف الشكلي وتضمن حقيقة قائمة بذاتها؛ بحيث أهداف، من خلال هذا الموضوع، إلى تحقيق أمرين اثنين: أولهما تقديم إطار نظري يحكم التصور المؤطر لعملية التزكية تَعَلُّماً وَمَثَلًا وتعلّما. وآخرها استقراء مفهوم التزكية وأبعاده وتحليلاته ومواضيعه، وما إلى ذلك مما يؤطر الموضوع، من خلال القرآن الكريم.

ولم أقف على دراسة تناولت موضوع هذا البحث بشكل مباشر، ورامت تحقيق أهدافه كما عرضتها، بينما غلب على الدراسات الأخرى عدم قصد التزكية بالدراسة أصالة، كمقال (مقاصد القرآن في تزكية الإنسان) لعبد المجيد النجار في مجلة الفكر الإسلامي المعاصر العدد 95 عام 2019. أو ما تناول الموضوع ولكن بشكل جزئي، كمقال (معالم التزكية النفسية في القرآن الكريم من خلال قصة إبراهيم عليه السلام) لأحمد الطيبي في مجلة الشهاب المجلد 07 العدد 02 عام 2021.

وبالنظر إلى طبيعة البحث، فإنني سأعتمد على المنهج الاستقرائي، لإحصاء وتتبع الألفاظ والمفاهيم المتعلقة بالتزكية، وسأعقبه باستعمال المنهج التحليلي لدراسة العلائق بين محاور الدراسة والخلاصات المرجوة. وبالنسبة للبحث فسأكتفي بذكر السورة ورقم الآية، حتى وإن أوردت جزءا منها فقط، كما أنني سأعتمد على مصحف حفص في إيراد الآيات، وكذا في تتبع تعداد مرات ورود الألفاظ.

التمهيد

يلزم للإحاطة بتحليلات مصطلح التزكية وأبعاده، النظر إلى دلالاته اللغوية، ثم النظر إلى دلالاته في اصطلاح المفسرين، وأخيرا تلمس معاملة في متنه القرآني. فأما المعنى اللغوي فقد عمد ابن فارس في المقاييس إلى حصر معاني مادة (زكى) في معنيين، بأن قال إن «الأصل في ذلك كله راجع إلى هذين المعنيين، وهما النماء والطهارة»¹، وعلى ذلك تابعه ابن منظور في اللسان لما قال «وأصل الزكاة في اللغة الطهارة والنماء والبركة والمدح»²، وزاد عليه البركة التي ترجع إلى النماء، وكذا المدح المنهي عنه من الشخص لنفسه؛ فهي بذلك كل وصف محمود ينتج عنه نماء في الخير وطهارة.

وأما في اصطلاح المفسرين في تفسير قوله تعالى {وَيُزَكِّهِمْ} (البقرة 129) بأنه «يطهرهم من ضر-أي وسخ-الشرك»، وقال في قوله تعالى {وَلَا يُزَكِّهِمْ} (البقرة 174) بأنه «أي لا يصلح أعمالهم الخبيثة فيطهرهم»³؛ فجعل مدار المصطلح على الإصلاح المفضي إلى التطهير.

بينما اتكأ الحارلي على المعنيين اللذين أوردهما ابن فارس في تفسيره، ففسر قوله تعالى {وَلَا يُزَكِّهِمْ} (البقرة 174)، بأنه لا «يطهرهم من دنس الذنوب، أو يثني عليهم، أو ينمي أعمالهم»⁴؛ فقصر الطهارة على الذنوب، والنماء على الأعمال، وزاد على المعنيين المثبتين من ابن فارس معنى الثناء بالخير. غير أن المتتبع لمذلول لفظ التزكية عنده، يرى أنه يقصره على النماء، فالتزكية عنده هي إكساب الزكاة، لقوله «والتزكية: إكساب الزكاة، وهي نماء النفس»⁵، وأما الزكاة فهي «نماء في ظاهر حس، وفي باطن ذات نفس»⁶؛ وبهذا، فإن مفهوم التزكية يقوم على النماء -فقط- للحس وللنفس، ومنطلق ذلك كله هو القلب، فنماء العمل الصالح، تقلص للذنوب. ونماء النفس، سموا إلى خالقها، تقلص لنوازعها.

وجمع بين قلوي المفسرين نبيل السمالوطي، لما فصل دوران التزكية على مصطلحات التطهير والنماء والإصلاح حين قال «فإن كلمة التزكية في اللغة تعني الإصلاح والتطهير والتنمية»⁷، غير أن هذه التعاريف تصف أثر المصطلح وثمرته، فالتطهير والإصلاح هي مصطلحات قرآنية مستقلة، لو أريد معناها لوظفت مباشرة، كما أن النماء هو مرادف لغوي وصفي كذلك.

وبالنظر إلى لمواضع ورود المصطلح في القرآن الكريم، والتي هي قليلة نسبيا وعددها أربعة عشر موضعا، فإن متعلقات مصطلح التزكية وصوره كثيرة جدا؛ مؤداها أن التزكية -المتعلقة بالمكلفين من جهة العمل لا الثناء- هي الانتقال بالنفس -على

مستوى الفهم والاتصاف والتعامل - مما يُستحسنُ بغير رجوع للشرع - من جبلة أو عرف أو هوى وما إلى ذلك، وسواء وافق الشرع أم خالفه - إلى ما يستحسنه الشرع.

المبحث الأول: الضوابط المنهجية الحاكمة لتزكية النفس

يشتمل هذا المبحث على تقديم لمنهج دلالة النظم القرآني على العناصر التي تقوم عليها عملية التزكية، ثم تفصيل منهجها - تزكية النفس - بحسب مراحل الفهم والاتصاف والتعامل، وأخيرا بيان الضوابط المنهجية المحددة للانحراف عنها.

المطلب الأول: منهج دلالة النظم القرآني على متعلقات التزكية، وترتيبها من حيث الدلالة عليها

إن دراسة مصطلح التزكية منفردا - في المتن القرآني - تعطي الملامح العامة للمصطلح، خصوصا من جهة دلالاته على إحدى مهام النبوة أو علاقته بالمآل والجزاء. غير أن حسن الإحاطة بدلالة المصطلح وتجلياته النظرية والعملية تستلزم دراسة مكونات تعريفه التي تم الإفصاح عنها خلال التمهيد، والذي قيل فيه إن التزكية هي الانتقال بالنفس - على مستوى الفهم والاتصاف والتعامل - مما يُستحسنُ بغير رجوع للشرع إلى ما يستحسنه الشرع؛ فيطلب مفهوم المصطلح من خلال مستويين اثنين، يقوم الأول منهما على تلمس مفهوم النفس ومتعلقاتها، وبينما يقوم المستوى الثاني على تلمس منهج استحسان وانتقاص نصوص الوحي لسبل فهمها وسبل تمثيلها - أي من جهة ما تتصف به - وسبل تعاملها مع الغير.

وباستثناء الآيات التي لا يمكن حمل النفس فيها على الناس⁸، أو تلكم التي تتناول النفس دون ذكر أثر يعود عليها أو وصف يصفها⁹، فقد ذكرت النفس في عدة مواضع من القرآن الكريم، يمكن عرضها بحسب التقسيم التالي:

- مواضع متعلقة بذكر أنواع الأنفس وما يعتريها من أحوال: ذكر من أنواعها النفس الزكية¹⁰ والنفس المطمئنة والنفس اللوامة والنفس الأمارة بالسوء¹¹. كما أنه يعتريها من الأحوال الاستكبار والشح والحسد والسفه والشهوة والهوى¹².

- ومواضع متعلقة بما وُضع إطارا حاكما لتصوير المرء عن نفسه: بحيث لا تجزي نفس عن نفس شيئا¹³، أو كونها محكومة بالموت ولا نملك منها شيئا¹⁴، أو علاقتها بالكسب والجزاء¹⁵ والابتلاء¹⁶، أو كون التكليف في وسعها¹⁷، أو علاقة النفس ببعض أفعال الله من قبيل خلقها وإنشائها وتسويتها وما جعل لها¹⁸، وعلمه سبحانه بمكنونها¹⁹، وإشهادة سبحانه للناس على أنفسهم²⁰، وتغيير النعمة بالقوم بحسب تغير ما في أنفسهم²¹، وبملابس موتها وبعثها²²، ومدلول إيجادها²³ بضغفها وتردها بين الهداية والضلال.

- ومواضع ذكرت أن منشأ الحكم والقول والفعل هو النفس: لقد ذكر الوحي في مواضع كثيرة²⁴ بأن المرء يرغب بنفسه عن أمر الله، وأنه يتبع في مقابل هذا الأمر ما يميله عليه هواها²⁵، وما تسوله²⁶ له نفسه من فعل²⁷ بعدها.

- ومواضع ذكرت تأثر النفس بالأعمال: لقد ورد عن النفس - في محكم التنزيل - أنها محل التغيير²⁸ من قبل صاحبها إما لخير أو لشر، ولومها²⁹ إن كان لشر؛ لذلك اطردها بآعمال الخير - المستمدة خيريتها من الوحي - وضرّها بآعمال الشر³⁰ التي على النقيض؛ فمن أحسن فلها ومن أساء فلها³¹، ومن اهتدى فلها ومن ضل فليها³².

- ومواضع متعلقة بما كُلف به الناس تجاه أنفسهم: لقد أمر الله العباد بوجوب وقاية أنفسهم من النار³³ وعدم الورود بها على المهالك: وذلك من ناحيةٍ بِنَهْيِهَا عن اتباع الهوى³⁴، ثم بحثها عن مختلف أبواب الخير³⁵، ليجمع المعنيين كليهما تكليف المؤمنين بتزكية أنفسهم³⁶؛ فكثرت بذلك مواضع حث القرآن الكريم الناس بأن يقدموا لأنفسهم³⁷ ما فيه صلاحها وفلاحها، وأن كل فردٍ مشترك³⁸ عملاً ومكتسبه، فكما جاء "كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها، أو موبقها"³⁹.

- ومواضع متعلقة بذكر ما يقع على النفس جراء دسها (أو عدم تزكيتها): يمكن تقسيم ما يقع للنفس جراء دسها إلى ثلاثة أقسام: أولها من جهة حقها على صاحبها، فهو يقع في ظلمها⁴⁰ والبغي⁴¹ عليها. وثانيها من جهة السير بها إلى ما أريد لها، فهو يضلها⁴² ويخادعها⁴³ ويمكر بها⁴⁴.

ويقوم المستوى الثاني، المتمم لما سبق والذي يُطلب من خلاله مفهوم مصطلح التزكية، على تلمس وتتبع الأوصاف التي رغب فيها الوحي، ودراسة معالم ما لجعل خيراً محضاً أو شراً محضاً وضوابط تلقيه.

ويمكن العمل على بلوغ هذا الهدف من خلال مسارين اثنين -على الأقل⁴⁵- : أولهما يكون بتتبع كل وصفٍ محمود في القرآن الكريم -كالإيمان والصدق وغيرهما- وبيان معناه، ودراسة علائقه بين باقي الأوصاف، وكذا تحليلاته الفعلية إن وجدت، ثم القيام بنفس الشيء للأوصاف المذمومة. وأما ثانيهما، فيكون بتتبع الأوصاف التي جاء الحث عليها والنص على طلبها صراحة في القرآن الكريم، مع ذكر سبيل بلوغها معها.

فأما المسار الأول الذي يقوم على دراسة هذه الأوصاف -أي المصطلحات-، فهو عمل كبير جدا وقد يلزم له بحثٌ لكل مصطلح، وأما المسار الثاني فينسجم مع موضوع البحث كونه يتتبع ما حث الوحي على الاتصاف به، وأيضاً بأن يكون القرآن قد دلنا على السبيل التي من خلالها يمكن بلوغ ذلك في نفس الموضوع؛ لذلك سأَتَّبِعُ الأوصاف التي كانت موضوع تعليلٍ لفعلٍ ما -خاصً بالملكفين أو المدعوين-، خصوصاً تلكم التي كانت مسبقة بحرف "لعل".

وقد قيل إنه -حرف "لعل"- يفيد⁴⁶ [الرجاء -الذي عند النحاة لا يكون إلا في الشيء المحبوب⁴⁷- من عند العبد والمستحيل في حق الله] أو [التوقع الذي يفيد الترجي أو الإشفاق] أو [التعليل بمعنى كي]، وقيل أيضاً معناه [الاستفهام]⁴⁸، وفُصِّل فيه صاحب التحرير بأن قال إن «لعل الواقعة في مقام تعليل أمر أو نهي، لها استعمال يغير استعمال لعل المستأنفة في الكلام سواء وقعت في كلام الله أم في غيره، فإذا قلت افتقد فلانا لعلك تنصحه، كان إخباراً باقتراب وقوع الشيء وأنه في حيز الإمكان»⁴⁹. وقد جمع أغلب ما سبقه ذكره الإمام الحارلي لما قال «لعل كلمة تَرَجُّ لما تقدم سببه»⁵⁰، فهي مرتبطة بالمخاطب ومعلقة بالسياق المبين للسبب الذي يُطلب ويُترجى به بلوغ العلة، لذلك كانت دلالة هذا الحرف من الإيهام «المشعر بالقسمين، والمهيئ لإمكان ظهور الفريقين»⁵¹. وباستقراء مواضع لعل في القرآن، يمكن تقسيمها إلى ستة أقسام:

- الأوصاف المتعلقة بالتلقي والتدرج في العلم: وهي العلم⁵² والفقہ⁵³ واليقين⁵⁴ والرشد⁵⁵.

- والأوصاف الدالة على منهج أعمال الفكر في الحق (المسطور والمنظور): وهي التعقل⁵⁶ والتفكير⁵⁷

والتذكر⁵⁸.

- والأوصاف المحفزة للأعمال: من قبيل الخشية⁵⁹ والتضرع⁶⁰ والرجوع إلى الله⁶¹ والحذر⁶² والانتهاز عن السوء⁶³ ما يتغى طلبه⁶⁴ من قبل المكلف.
- والأوصاف المؤسسة للحكم أو القول أو الفعل: وهي التقوى⁶⁵ والشكر⁶⁶.
- والأوصاف الدالة على التكليف: كالإيمان⁶⁷ بالغيب، والرضى⁶⁸ بالقدر، والإسلام⁶⁹ لله، والشهادة⁷⁰ بالحق.
- والأوصاف المتحصل عليها كعطاء من الله: وهي الاهتداء⁷¹ والفلاح⁷² والرحمة⁷³ وحصول النصر⁷⁴.

المطلب الثاني: منهج تزكية الأنفس بين الفهم والاتصاف والمعاملة

لقد تمّ -في المطلب السابق- اختياراً ودراسة روافد مفهوم التزكية ومصطلحاته المبينة له، كونه عملية الانتقال بالأنفس مما تراه -بغير شرع- خيراً ومصلحة لها إلى ما دل الشرع عليه من خيرٍ ومصلح لها؛ فيحسُن في هذا المقام دراسة العلاقات بين هذه الروافد -حال النفس مقارنة بما طُلب منها الاتصاف به من صفات-، وكذا منهج التزكية من خلالها.

لقد رتب الوحي على إرسال الرسل إلى الأقوام وإنزال الكتب عليهم ليلغوهم رسالة ربهم، مصداقاً لقوله تعالى {وَمَا تَرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} (الأنعام 48 و49)؛ فمن بُلِّغَ مضمون الرسالة فحصل له العلم به، وآمن فاتصف بما أخبر به الوحي، وتعامل في مجتمعه بمقتضاه فأصلح، فلا خوف عليهم من أذى قادمٍ ولا حزن يصيبهم من أذى حاضر. وأما من بُلِّغَ مضمون الرسالة فأعرض عنه وجهل أمر الله له -برغم البيان والآيات-، وفسق عن أمر ربه، فاتصف بما يميله عليه هواه، وعامل الناس بمقتضى ما يتوهم أنه مصلحة له، فذلك يمسّه عذاب من الله جل جلاله.

فيستشف أن منهج تزكية النفس الذي يشير إليه القرآن الكريم يقوم على ثلاث مراحل كبرى: أولها مرحلة التلقي لمضامين الوحي وفهم حقائقه، وثانيها مرحلة الاتصاف والتلبس بما تراه النفس حقاً، وآخرها مرحلة التعامل مع الناس.

وقد تعددت الآيات الدالة على هذه المراحل في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى {يَا بَنِي آدَمَ إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (الأعراف 35)، فأشارت الآية إلى مرحلة تلقي وفهم مضمون الوحي الذي تقصّه الرسل على أقوامها، وكذا الاتصاف بالتقوى، وأخيراً عند التعامل مع الناس.

كما يُستشف وجود ترتيب بين هذه المراحل، وقد دل على ذلك فاء التعقيب -في [فمن] من الآيتين السابقتين من سورة الأنعام وكذا من الآية السابقة من سورة الأعراف-؛ فتكون المرحلة الأولى والمؤسسة لما بعدها هي مرحلة التلقي والفهم، ثم بعدها مرحلتا الاتصاف بما في الوحي من أوصاف وكذا التعامل مع الناس بما سطره الوحي.

وبالاستناد على قوله تعالى {كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} (الصف 2) يُفهم أن شرط صحة -التعامل مع الغير هو الاتصاف بما نطلبه منهم أو نلزمهم بفعله، فتتقدم بذلك - طلباً⁷⁵ - مرحلة الاتصاف بما أمر به الوحي، مرحلة التعامل مع الناس بمقتضاه؛ فيستقر الترتيب لهذه المراحل الثلاث في تَقَدُّمِ مرحلة تلقي وفهم الوحي، ثم تليها مرحلة الاتصاف بمضامينه، ثم تليها مرحلة التعامل مع الغير بمقتضاه.

غير أن هذا الترتيب ليس جامداً بل هو متجدد، بحيث يُفهم من قوله تعالى {وَإِنْ تَعْلَمُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (البقرة 282) أن الاتصاف بالتقوى - التي هي ضابطة للفعل المتعامل به مع الناس والنافية عنه وصف الفسق - مقدمة وشرطٌ لحصول العلم والفهم عن الله. وظاهرٌ أيضاً أن مخالفة ذلك - بألا يتقي المرء ربه خلال تعامله مع الناس - ينتج عنه جهلٌ بأمر الله - إن لم يكن إضلالاً منه سبحانه لهم -، وهذا كذلك فهمٌ مُتَحَصِّلٌ عليه بعد مرحلة التعامل مع الناس، وإن كان فهماً خاطئاً؛ فيصبح بذلك منهج التزكية مرتكزاً على ثلاث مراحل متجددة، بحيث يسبق الفهم ثم الاتصاف ثم التعامل ثم الفهم، سواء وافق هذا الفهم الوحي أو خالفه.

فيكون بذلك تفصيل هذه المراحل هو على النحو التالي:

- **مرحلة الفهم:** إن للقرآن الكريم ضوابط فهمٍ يجب مراعاتها ليحسن الفهم عن الله ويستقيم مع مراد الله سبحانه من كلامه، ويجب استنباطها مما يشترطه القرآن الكريم نفسه على من أراد فهمه؛ حيث إنه يجعل حق كلمات الله أن تُتَلَقَّى⁷⁶.

وقد جعل القرطبي دلالة "تلقى"، في قوله تعالى {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ} (النمل 6)، ما معناه «قَبِلَ وَأَخَذَ» وكان عليه السلام يتلقى الوحي أي يستقبله ويأخذه ويتلقفه⁷⁷؛ فيكون بذلك التلقي هو شرط العلم بالشيء المُتَلَقَّى ومقدمته، وشرط فهمه على ما هو عليه، وشرط فهمه مقاصده وسبله وما إلى ذلك من متعلقاته.

فالناظر لهذه المراتب الثلاث - العلم والفهم والفقه - يكاد لا يجد فرقاً كبيراً بينها، وهذا ما يفسر التعاريف المتقاربة لمعانيها اللغوية، حيث يورد ابن فارس أن معنى أصل مادة العلم (علم) هو «أثر بالشيء يتميز به عن غيره»⁷⁸، بينما معنى أصل مادة الفهم هو «عِلْمُ الشَّيْءِ»⁷⁹، وأخيراً معنى أصل مادة الفقه هو «إدراك الشيء والعلم به»⁸⁰.

وعلى عكس ابن فارس، الذي أشار - إشارة ولو كانت بعيدة - في تعريفه للعلم إلى [الإدراك] من خلال قوله [أثر]، بحيث لم يقيد العلمَ بلازم ولا شرط صحة، فإن الجرجاني قد أورد عدة معانٍ - اصطلاحية - للعلم أذكر منها ثلاثة وهي⁸¹: الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، وإدراك الشيء على ما هو به، ووصول النفس إلى معنى الشيء؛ فأشار إلى أنه إدراك للشيء موافق لحقيقته، منهجه الطلب لبلوغه، وقيدته بشرط صحة⁸² متعلق بكونه اعتقاداً يفضي إلى يقين.

ويجمع شتات التعاريف السابقة الحارلي بأن العلم يُطلب لما قال إنه «ما أخذ بعلامة وأمرة نصبت آية عليه»⁸³، وأظهر الآيات التي تدل على هذا المعنى قوله تعالى {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ} (يونس 5)، بحيث جعلت آية تعاقب الشمس والقمر هي مأخذ العلم بعدد السنين والحساب.

كما ينسجم في ذهن المكلف تفسير ما قد يشكل عليه من آيات؛ فقلوه تعالى {الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَهَقًّا وَأَجْدَرُ أَنْ لَا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ} (التوبة 97)، يفيد بأن كفرهم يُصادم الإيمان بالآيات التي نصبت للدلالة على صدق الإخبار، وهو ما يمنع حصول العلم لانتفاء الآيات - في النفس - التي يؤخذ منها. وكذا في قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ} (المتحنة 10)، فإن العلم المنسوب للذين آمنوا مأخوذ من الامتحان العملي للمهاجرات.

فيصبح بذلك ما أخذ - من جهة كونه كان مجهولا عند آخذه - علما، وهو كذلك - من جهة كونه إعمال نظر - فهم، وقد قال الجرجاني في تعريف الفهم إنه «تصور المعنى من لفظ المخاطب»⁸⁴؛ وهو ما ينسجم مع قوله تعالى {فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ} (الأنبياء 79).

فإذا وافق الفهم - المتحصل عليه من إعمال النظر في مأخذ العلم - مقصد المتكلم ومراده صار فقها، وهو ما ألمح إليه الجرجاني حين قال إن الفقه هو «فهم غرض المتكلم من كلامه»⁸⁵؛ ولهذا أسميت هذه المرحلة بمرحلة الفهم لأنه المشترك بين كل المكلفين، بينما الفقه خصت به طائفة دون البقية.

- **مرحلة الاتصاف:** إن مرحلة الاتصاف هي دأب النفس على المحافظة على خلق أو وصف معين، وقد عبر عنه القرآن بعدة أساليب، ومن ذلك: ذكر الوصف المباشرة الملازم للنفس، كذكر المحرم الموسوم بالإجرام وكذا المؤمن الموسوم بالإيمان في قوله تعالى {إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا} * وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى (طه 74 و 75)، وذلك للدلالة على تمكن الوصف من الموصوف. وأيضا استعمال [كانوا] متبوعا بفعل مضارع للدلالة على الاستمرار والديمومة على الفعل، ومن ذلك قوله تعالى {وَلَا جُرْأَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} (يوسف 57).

- **مرحلة التعامل:** ينضبط التعامل مع الغير، في القرآن الكريم، بعدة ضوابط: أولها حسن قراءة الواقع بعين الوحي، وحسن تصور القارئ لمفهوم الصلاح والفساد في مقصد الأعمال، والذي يرجع أساسا إلى حسن تصور مدافعة أهل الحق للباطل المبين في القرآن الكريم لقوله تعالى على لسان شعيب {إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ} (هود 88).

ثم ضبط حدود الخير والشر في المفاهيم، والحسن والقيح أو السوء في الأعمال، لقوله تعالى {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} (آل عمران 104). وثاني الضوابط للتعامل مع الغير هو الصدق في التعامل، وذلك بأن يكون ما نتعامل به هو ما نتصف به حقيقة، ومما يضد ذلك قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ يَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} ^{لا} كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون} (الصف 2 و3). وآخر هذه الضوابط هو أن يكون مولد التعامل مع الغير هو ما حدّه الوحي من محفزات وأهداف.

ويختصر هذه الضوابط قوله تعالى في الآية {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} (الكهف 110)، التي تورد حسن تصور تعامل ومدافعة النبي صلى الله عليه وسلم لقومه بأن يكون موجه عمله هو رجاء لقاء الله، والعمل الصالح ونفي الفساد الذي من صورته شرك العباد.

المطلب الثالث: الضوابط المنهجية المحددة لانحراف عن تركية الأنفس

يمكن، بالاستناد على أن عملية تركية النفس تقوم على الانتقال بها -فهما واتصافا وتعاملا- مما يُستحسنُ بغير رجوع للشرع -من جبلة أو عرف أو هوى وما إلى ذلك- إلى ما يستحسنه الشرع، تعريفُ الانحراف عن تركية النفس بما يقابل تعريف التركية، فنعرفه بأنه خروج النفس عن إذعانها لسلطة الوحي عليها إلى ما تحدده هي، وافق ذلك الوحي أم خالفه.

إلا أن هذا التعريف يبقى عاما، ويفتقر إلى ضبط منهجي يبرز حدوده وتحلياته؛ حيث إن منهج الحفاظ على تركية النفس، يقوم على الحفاظ على الضوابط التي -حين غيابها- قد تؤثر سلبا على هذه العملية أو تنسفها من أساسها، سواء أدى ذلك بالنفس إلى المخالفة الظاهرة لمضمون الوحي أو أدى ذلك إلى فساد باطنها دون ما يظهر للناس منها.

وباستصحاب مكونات التركية -المبينة في المطلب الأول- التي تقوم على ضبط مفهوم النفس والصفات التي أمر الوحي بها، وكذا باستصحاب منهج حصول عملية التركية -المبين في المطلب الثاني- الذي يقوم على ضبط مراحل الفهم والاتصاف والتعامل. فإن انحراف النفس عن منهج تركيتها يرجع أساسا إلى طبيعة هذه النفس في استصدار الأحكام -التي لا تخضع لسلطة الوحي- والانصياع لها، إضافة إلى مجموعة من العوامل الخارجية عن النفس، وتفصيل ذلك على النحو التالي:

1- حكم النفس هو منشأ انحرافها عن منهج تركيتها: لقد خلق الله الناس ولم يجعلهم أمة واحدة وفُطروا على الاختلاف ⁸⁶ حول المفاهيم والحقائق، في حدها وتصديقها، وهذا -أي الفكر والحكم- من أهم ما يميز الإنسان عن باقي المخلوقات المشاهدة، فهو بفطرته مفكر يُصدق ما فكر فيه أو يُكذبه. وقد وردت الآيات تستدرك على الناس كيفية استصدارهم للأحكام وتصديقها بغير برهان مقبول في مواضع كثيرة؛ ومن ذلك ما استدركه الوحي على الناس في سورة

الصفات⁸⁷ نسبتهم البنات لله، وجعلهم الملائكة إناثاً، ونسب الولد له سبحانه، وقد صرح القرطبي بذلك في تفسير قوله تعالى {فما لكم كيف تحكمون} (هود 35) ما نصه «لأنفسكم وتفتنون بهذا الباطل الصراح»⁸⁸.

ولما كان اختلاف الناس سنة كونية، أنزل الله لهم الكتاب ليحكموا به في كل ما اختلفوا حوله، لقوله تعالى {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اختلفوا فيه} (البقرة 213)، ثم واستدرك عليهم في كل حكم يُستصدر بغير استناد مباشر أو غير مباشر على الوحي.

وقد ربط القرآن الكريم خلال عملية استصدار النفس للأحكام -المخالفة لمراد الله وحكمه- بين مصطلحي الحكم والهوى الذي «لا يستعمل في الغالب إلا فيما ليس بحق وفيما لا خير فيه»⁸⁹، بحيث جعل سبحانه القرآن الكريم حُكْمَهُ الذي أنزله إلى عباده، وجعل في مقابله أحكام الأهواء التي قد تُتبع من دونه، فقال جل في علاه {وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا وَعَرِيًّا وَلَنْ تُبْعَثَ أَهْوَاءُهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ} (الرعد 37)؛ حتى يصير الهوى إلهاً يعبد من دون الله {أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا} (الفرقان 43)، فيأتمر بأمره وينتهي بنهيهِ.

ولما كان حكم النفس الناشئ عن فهم وتصوير مسبق، محدداً لما تراه أولى بأن تتصف به وتعامل بمقتضاه مع الغير، فقد أورد القرآن صوراً وتجليات إن على مستوى فهم النفس أو اتصافها بالأوصاف أو تعاملها مع الغير، وتفصيل ذلك هو:

- صور الانحراف عن منهج التزكية خلال عملية الفهم: إن من أظهر المواضع في القرآن الكريم المبينة لأثر حكم النفس -بغير إذعان للوحي- على عملية الفهم، قوله تعالى {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} (العنكبوت 4)، وقد أبرز القرطبي أن حكم الكفار التصوري عن عقاب الله اقتضى أنهم يسبقونه ويعجزونه، فقال «قرر الكافرين الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ في تعذيب المؤمنين وغير ذلك على ظنهم أنهم يسبقون عقاب الله ويعجزونه»⁹⁰.

وقد ورد في صحيح مسلم من حديث حذيفة رضي الله عنه قال {سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ تَعْرِضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ غُودًا غُودًا فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نُكِبَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ وَأَيُّ قَلْبٍ أَتَكَرَّهَتْ نُكِبَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءٌ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَيْضٍ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَصُرُهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مَرَبَادًا كَالْكُوزِ مَجْحِيًّا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ}⁹¹، فدل ذلك على أن الهوى يصير عند العاصي هو الدال على المعروف والمنكر، والمقبول والمرفوض حكماً.

- صور الانحراف عن منهج التزكية خلال عملية الاتصاف: يظهر جليا تأثير حكم النفس على عملية اتصافها بالخصال في قوله تعالى { **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ** } (الجاثية 21)، بحيث تحسب فئة من الناس ذُكرت بوصفها بأنهم يجترحون السيئات، أن حالهم وحال فئة أخرى من الناس، وُصِفوا بأنهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات، سواء في الحيا والممات. فحكموا بأن اجتراح السيئات لا أثر له في الحيا والممات؛ فسولت لهم أنفسهم اجتراحها، وقد صرح القرطبي بمستند حكمهم لما ذكر سبب نزول الآية فقال إنه «بسبب افتخار كان للكفار على المؤمنين، قالوا لئن كانت آخرة كما تزعمون لَنُفَضِّلَنَّ عليكم فيها كما فضلنا في الدنيا»⁹².

- صور الانحراف عن منهج التزكية خلال عملية التعامل: وأما تأثير حكم النفس على التعامل مع الآخرين فقد نص عليه القرآن صراحة في موضعين من القرآن الكريم، أولهما قوله تعالى { **وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ** }⁹³ **يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ** } (النحل 58 و 59)، وثانيهما قوله تعالى { **وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَّا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ** } (الأنعام 136).

فذكر في الموضع الأول الحكم السائد عند البعض زمن تنزل الوحي من أن المولودة الأنثى همَّ وعَمَّ وهَوَّ، وأن فعلهم الناجم عند من استحکم هذا الحكم على رأيه أن يدس الأنثى في التراب؛ لذلك قال القرطبي «استفتح تعالى بالإخبار بسوء حكمهم وفعلهم بهذا في بناتهم»⁹³. وورد في الموضع الثاني أن الحكم هو تسوية الله جل في علاه مع من هم دونه، فانتزعت رهيته من قلوبهم وسولت لهم أنفسهم ألا يُؤدُّوا حقه -الذي يقرونه هم- عليهم.

2-العوامل الخارجية المؤثرة سلبا على تزكية الأنفس: لقد أورد القرآن الكريم نوعين من هذه العوامل، الشيطان والناس، ولكنهم يرجعون في مجملهم إلى الشيطان؛ بحيث إن هؤلاء الناس على ثلاثة أنواع: أولهم الغناء الذين يُسَلِّمُونَ لله عادةً ووراثته لا عن عهدٍ وميثاقٍ، وقد قال فيهم جل في علاه { **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ** } (الحج 11). ثم جندُ شياطينِ الإنسِ والجنِّ الذين يتبعونهم، وقد قال فيهم الحق سبحانه { **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ** } (الحج 3). وآخرهم شياطين الإنس ممن كان هوى أحدهم هو إلهه، وقد وصفهم العزيز الحكيم بأنهم الصادقون عن سبيله والمعرضون عن أمره سبحانه، حيث قال { **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ** }⁸ **ثَانِي عِطْفُهُ يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ** } (الحج 78 و 9).

وقد تعددت مناحي ذكر تأثير الشيطان على تزكية الأنفس في القرآن الكريم بحسب أهدافه وأفعاله، وتفصيل ذلك هو:

- أثر مراده وأهدافه على تزكية الأنفس: إن الهدف الأكبر للشيطان هو أن يتم الانتقال بالنفس إلى الضلال⁹⁴ عن سبيل الله، وذلك فهما واتصافا وتعاملا - كما سيظهر من أفعاله-؛ فلا يبقى لهم بعد ذلك إلا الشيطان ليعبدوه، ويُخلفوا ما عهد⁹⁵ الله إليهم به. كما يعتمد الشيطان لبلوغ مراده على أوليائه⁹⁶، فيوحي إليهم ليحادلوا المؤمنين عن الحق، وليسقطوهم في الشرك بالله إن هم أطاعوهم.

- أثر أفعاله على مراحل تزكية النفس: لقد تعددت الآيات التي تخبر عن أفعال الشيطان الكثيرة، وبيان أثرها على المراحل الثلاث للتزكية: ومن أهم ما يؤثر على عملية الفهم عند المكلفين هو سعي الشيطان لتزيين⁹⁷ أعمال مشينة في أعين الناس، كيف لا؟ وقد طمس على أبصارهم حتى أجابوه إلى دعوته ظنا منهم أنها خير لهم، وهي على الحقيقة دعوة إلى عذاب السعير لقوله تبارك وتعالى {أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ} (لقمان 21).

وأما خلال مرحلة الاتصاف فالشيطان يعمل أساسا على تخويف أوليائه بما لا يجب أن يُخاف منه أو عليه، وقد قال في ذلك سبحانه {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَائَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ} (آل عمران 175)؛ فتقلب موازين نظرهم حتى أن طائفة ممن حق عليهم الضلال يرون طائفة من أولياء الشيطان مهتدين⁹⁸، وهم في الحقيقة ضالون. وأما على مستوى التعامل، فإن الشيطان أساسا يأمر بالفحشاء⁹⁹، وينزع بين الناس ليقع بينهم العداوة¹⁰⁰.

المبحث الثاني: الضوابط المعرفية الحاكمة لعلم التزكية

يتناول هذا المبحث مركزية التقوى بين الأوصاف المطلوب تحلي النفس بها، ثم يقدم خريطة للتزكية في عملية التزكية، وأخيرا يبين وسائل الحفاظ على آثار هذه العملية من الانحراف والضمور.

المطلب الأول: مركزية التقوى بين الأوصاف المطلوب تحلي النفس بها

لقد خلق الله الناس وجعل لأنفسهم سمتين أساسيتين: فأما الأولى فهي التقوى، وأما الثانية فهي الفجور لقوله تعالى {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا} ¹⁰¹ فَالْهَمَّهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (الشمس 7 و8)، كما تعددت الآيات التي تذكر بأن جزاء التقوى هو الجنة وأن جزاء تركها هو النار ¹⁰¹؛ لذلك يمكن للمتبع لمواضع ذكر التقوى في القرآن الكريم أن يلحظ محورية هذا الوصف -أو الخلق- وارتباطه بباقي الأوصاف المطلوبة ¹⁰².

وقد تعددت أشكال ورود هذا الارتباط -ارتباط وصف التقوى بباقي الأوصاف المطلوبة- بحيث: تكون التقوى غايةً تُطلب، أو أنها من لازم أوصافٍ أخرى، أو تكون سبيلاً لتحصيل أوصاف أخرى، أو أنها تكون خاصةً بأوصاف أخرى؛ فيصير سبيل تحصيل التقوى بطلب الشكليات الأولى، وتفضي نتائج تحصيلها إلى الشكليات الآخرين، وذلك كما يلي:

- ما كان فيه وصف التقوى سبيلاً يُسلك أو شرطاً يُطلب لتحصيل غيره من الأوصاف: لقد ورد في آيات الذكر الحكيم، أن التقوى هي سبيل الفلاح وشرطه، لقوله تعالى {وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} ¹⁰³. وورد أيضاً ما يفيد بأنها سبيل تحصيل الرحمة، لقوله تعالى {وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} ¹⁰⁴ (الحجرات 10). وورد كذلك ما يفيد بأنها هي سبيل الشكر، لقوله تعالى {فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (آل عمران 123). وورد أيضاً بأنها مُقَدِّمَةٌ لحصول التذكرة لقوله تعالى {وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَٰكِنْ ذِكْرِي لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} ¹⁰⁵ (الأنعام 69). وأما التضرع فقد ورد كنوع خاص من أنواع الذكر الذي يرحى منه حصول التقوى في قوله تعالى {وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْعُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ} (الأنعام 205).

وأما مفهوم الانتصار للحق فقد ورد كوصف لازم للتقوى لأن لازم التولي عنه هو الفسق ¹⁰⁶، والفسق هو مقابل التقوى كما في قوله جل في علاه {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} (المائدة 108)؛ فلما كان شرط الإيمان التقوى لقوله تعالى {وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُثْمَ الْمُؤْمِنِينَ} (المائدة 57)، وكان شرط نصر الله هو تحقُّق إيمانهم وتضرُّعهم للحق لقوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتُصَرُّوا اللَّهَ تَتُصَرِّكُمْ وَيُنَبِّتَ أَقْدَامَكُمْ} (محمد 7)، فإن التقوى مقدمة وسبيل للنصر المرجو.

- ما كان فيه وصف التقوى غايةً تُطلب من خلال أوصاف أخرى: لقد ورد في آيات القرآن الكريم ارتباط مفهوم الذكر بمفهوم التقوى، وذلك بأنه سبيلٌ موصلٌ إليها، حيث قال جل جلاله {وَلَكِنْ ذِكْرِي لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} (الأنعام 69). ويلحق بكون الذكر سبيلاً لبلوغ التقوى، كون العلم والحذر من الأمور المستعان بها لحصول الذكر -وبالتبع لحصول التقوى- لقوله تعالى {أَمْ مَنْ هُوَ قَائِتُ أَنَاءِ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} (الزمر 9). وورد كذلك لفظ الرجوع إلى الله -وهو الغاية المكلف بلوغها جراء الابتلاء المتضمن لآيات الله سبحانه والتي يُذكر العباد بمضمونها، ومقابله الذي هو الإعراض- كأول مطلب للتذكير بآيات الله¹⁰⁷. وورد أيضا بأن التفكير هو أساس كل تصرف، سواء دل على التقوى أو على نقيضها، ويظهر ذلك جليا في قوله تعالى {إِنَّهُ فَعَكَرَ وَقَدَّرَ} ^{لا} فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ} (المدثر 18 و19)؛ فصار بذلك التفكير مقدمة لازمة ومؤسسة لحصول التقوى أو حصول نقيضها.

- ما كان فيه وصف التقوى مختصا بأوصاف أخرى: لقد اختُصَّت الهداية بالمتقين في قوله تعالى {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} (البقرة 2)، كما اختُصَّ أيضا الذكر بالمتقين في قوله تعالى {وَذَكِّرَ لِّلْمُتَّقِينَ} (الأنبياء 48)، ولما كان التسبيح أحد أضرب الذكر كان الرضى مما اختص بالتقوى لقوله تعالى {فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ أَنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ} (طه 130).

- ما كان فيه وصف التقوى لازما لأوصاف أخرى: ورد وصف اليقين كوصف لازم للمتقين¹⁰⁸ الذين قال فيهم جل في علاه {وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} (البقرة 4)، كما ورد لفظ الشهادة لله بالقسط كوصف لازم للعدل، الذي هو أقرب للتقوى في قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} (المائدة 8).

ويحسنُ في هذا المقام، بعد بيان تعلق الأوصاف المطلوب تحصيلها بمفهوم التقوى، تعريفُ هذا المفهوم المحوري في عملية تزكية الأنفس، كونه ثمرة هذه العملية وخلاصتها، فقد أوضح ابن فارس بأن أصل مادة التقوى (وقى) هو أصل واحد يدل على «دفع شيء عن شيء بغيره»¹⁰⁹ دون تعيينٍ منه للشيء الأول ولا للشيء الثاني. ويلاحظ من تعريف ابن فارس أنه عَرَفَ الفعل (وقى) ولم يعرف (اتقى)، لذلك فتعريفه لا يُعَيَّنُ مراد الواقى هل يروم بفعله خيرا أم شرا للشيء الذي وقى؟؛ فَلَزِمَهُ مزيد ضبطٍ لأننا قد ندفع عنه ما فيه صلاحه أو ما فيه ضره على حد سواء، بخلاف (اتقى) الذي يحيل إلى استحضار أثره على نفس الفاعل. فلا يفهم منه بدهاة إلا إرادة الخير لها من صاحبها، لذلك ربما يحسن القول بأن التقوى لغة هي «محاولة دفع المضار عن النفس»، دون تقييد لطرق دفع المضار، ولا الصياغة الموهمة بأن الهدف من الدفع قد تتحقق.

وأما في الاصطلاح العام فقد توسع الجرجاني في تعريف التقوى بحسب سياق ورودها، فذكر أنها «في الطاعة يراد بها الإخلاص، وفي المعصية: يراد بها الترك والحذر ... وقيل: ترك حظوظ النفس ومباينة النهي، وقيل: ألا ترى في نفسك شيئا سوى الله، وقيل: أن لا ترى نفسك خيراً من أحد»¹¹⁰. ويلاحظ هنا حمل الجرجاني لمعنى التقوى على مصطلحات أخرى لاشتراكها معها في بعض الدلالة -كالإخلاص والترك-، أو حملها على لازمها الذي يُذِيبُ هوى النفس ويلجمها بالشرع.

وأما في اصطلاح المفسرين فقد قال فيها القرطبي «يتقي بصالح عمله وخالص دعائه عذاب الله تعالى، مأخوذ من اتقاء المكروه بما تجعله حاجزاً بينك وبينه»¹¹¹، وهو ما يتوافق مع التعريف اللغوي المقترح، مع تقييد ما يُدفع به الضر، وكذا تقييد الضر المراد دفعه بأنه عذاب الله، إلا أنه استعمل الفعل اتقى للتعريف بالتقوى وهو ما يلزمه مزيد ضبط.

وأما الحرالي فقد قال في موضع بأن التقوى هي «تهيؤ لتَنَزُّلِ الكتاب»¹¹²، ليكون بذلك الضر المُتَّقَى هو كل ما دل عليه الكتاب بأنه مفسدة على النفس، وتكون سبيل دفعه هي كل ما في الكتاب من سُبُلٍ مشروعة؛ فالتعريف هو عقد عزم للتلبس بمقتضيات الكتاب، حتى إذا ما تم التلبس بمقتضياته كان المرء مهتدياً أو محسناً أو غيرها من الأوصاف.

ولكن الناظر إلى كتاب الله، يجد أن أجمع الآيات التي دلت على معنى التقوى هي قوله تعالى {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَكْوًى لِّلْكَافِرِينَ} وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٠١﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ} (الزمر 32 و 33 و 34)، وباستصحاب قول القرطبي في الاسم الموصول «الذي» وأنه يكون واحداً ويكون جمعا»¹¹³، يُفْهَمُ من الآيات السابقة عدة أمور، أذكر منها:

- أن المتقي محسن أصالة، لكن الاختلاف في محمل النظر إلى جهة اتصاف المرء بأحد الوصفين، فواضح أن الأول -التقوى- لازمٌ يَقْصُرُ على النفس، بينما يظهر أن الثاني -الإحسان- متعدُّ أثره إلى الغير.

- أن للمتقي شرطان: حيث إنه جاء بالصدق وأنه صدَّقَ به.

- أن الآية الثانية قد تُحمل على الدنيا ظاهراً وعلى الآخرة تبعاً، وذلك باعتبار السياق السابق واللاحق لها، لأنه سبقها ذكر تكذيب المكذبين بالصدق في الدنيا أصالة -وحين الحساب تبعاً- وجزائهم في الآخرة.

- أن وصف الصدق الذي كذب به الظالم، والذي جاء به المتقي، جاء في مقابل أن يوصف أنه جاء الحق، فيلزم منه العلم بأنه حكمٌ -بالصدق لما جاء به- حكم به الناس، مَنْشُؤُهُ الكتاب، وأما تجليه وتعلقه فبالواقع.

وبالنظر إلى تعدد الآيات¹¹⁴ التي تجعل للتقوى منطلقاتٍ علميةً -كونها أحكاماً للنفس- ومنطلقاتٍ ذاتيةً -كأوصاف الصبر أو الذكر وغيرها-، ومنطلقاتٍ متعددةٍ -حين التعامل في المجتمع كالزكاة والعفو وغيرها-، وأيضاً بالنظر إلى كون النفس في كل موقفٍ تعيشه محتاجة إلى تحديد الموقف منه -بقدر العلم والاستطاعة-، فإن كان حكمها عليه أنه منكر وجب عليها تغييره

باليد أو اللسان أو القلب، وإن كان حكمها عليه أنه معروف فعلى الأقل ترضى به؛ فإن التعريف الاصطلاحي الممكن اعتماده للتقوى هو "حكم النفس على المواقف بما يوافق حكم الشرع - وهذا من معاني جاء بالصدق - والعمل بمقتضى هذا الحكم خلال أداء الواجب تجاه هذه المواقف - وهذا من معاني صدق به -"، وهذا ما يوافق التقسيم المنهجي الذي سبق ذكره في المبحث السابق حول النفس وحكمها وفهمها واتصافها وتعاملها.

المطلب الثاني: خريطة الترقى في عملية التزكية

إن الناظر إلى مجموع الأوصاف المطلوب تمثيلها في مواضع ورودها - التي تم ذكرها في المبحث الأول -، يُدرك بغير شك أن هناك منهجا منضبطا يُمكنُ متبعه من تزكية نفسه، فالله لا يرتب عذابا¹¹⁵ على تكليف غير مستطاع أو غير مُبَيَّن كيفية أدائه في الكتاب والسنة؛ لذلك أطلقت على منهج الترقى، هذا، في سلم هذه الأوصاف "خريطة الترقى في عملية التزكية"، بحيث يمكن للمرء تحديد موقعه منها، وتحديد الأهداف التي جُعِلت فيها، وكذا تحديد السُّبُل لبلوغ هذه الأهداف.

ويمكن رصد ثلاثة مسالك لتلمس هذه الخريطة، يمكن إجمال الحديث عنها كما يلي:

- المسلك الأول: الاعتماد على دراسة وُزُود الأوصاف - طليبا بحرف "لعل" - بحسب السور: بحيث يقوم هذا المسلك على دراسة عدد مرات ورود الأوصاف في سور القرآن، وقد أفضى ذلك إلى رصد سبعة أقسام من الصفات بحسب عدد السور التي وردت فيها، وهي كالتالي: قسمٌ ورد فيه الوصف - المطلوب تمثُّله - في أحد عشرة سورة، وهو يُخَصُّ صفتي التذكر والشكر. وقسمٌ ورد فيه الوصف في ثمان سور، وهو يخص صفتي الاهتداء والفلاح. وقسمٌ ورد فيه الوصف في سبع سور، وهو يخص صفتي التعقل وحصول الرحمة. وقسمٌ ورد فيه الوصف في ست سور، وهو وصف الرجوع إلى الله. وقسمٌ ورد فيه الوصف في أربع سور، وهو يخص صفتي التفكير والتقوى. وقسمٌ ورد فيه الوصف في سورتين، وهو البقين والتضرع. وأخيرا قسمٌ ورد فيه الوصف في سورة واحدة من القرآن وهو يخص باقي الصفات، وهي حصول العلم والتفقه والإيمان والشهادة لله بالحق والحذر والانتهاز عن السوء والرضى والخشية والرشد والنصر.

ويمكن، من خلال إسهام دراسة الثنائيات من الأوصاف الواردة في هذا المسلك، تلمس معالم الترقى في سلم التزكية ببلوغ دقائق مهمة تخص هذه الأوصاف، إلا أنه لا يمكن الاعتماد على ذلك وحده لتحديد خريطة للترقى في هذه الأوصاف، وذلك راجع إلى أن هذه الخريطة تنبني أساسا على تفاعل النفس مع الوحي والواقع -والذي هو موضوع التزكية-، لا من جهة عدد ورود الأوصاف المطلوبة بالسور، ويلزم من ذلك بأن يكون تناولها من هذا المنطلق.

- المسلك الثاني: الاعتماد على دراسة زمن ورود الأوصاف بالسور: يقوم هذا المسلك على دراسة تقسيم الأوصاف المطلوبة بحسب ورودها في القرآن المكي أو المدني أو الواردة في القرآن المكي والمدني معا؛ بحيث ورد في القرآن المكي فقط¹¹⁶ - من الصفات - حصول العلم والتفقه والإيمان والشهادة لله بالحق والتضرع والرجوع إلى الله والرضى والخشية وطلب النصر. وأما

في المشترك بين القرآن المكي والقرآن المدني¹¹⁷ فقد ورد: التذكر والشكر والتقوى والتفكير واليقين والاهتداء والفلاح وحصول الرحمة والتعقل. وأما في القرآن المدني فقط¹¹⁸ فقد ورد: الحذر والانتهاء عن السوء والرشد.

وما يمكن الإسهام به من خلال هذا المسلك في تصور خريطة الترقى في سلم التزكية، هو النظر إلى الترتيب واستمرار الطلب المتعلق بمفهوم الصفات الطلبية؛ فبعض هذه الصفات كان ملائما لواقع الدعوة والمسلمين على العهد المكي، فورد طلبها في العهد المكي ولم يُعاد تنزل طلبها بعدها. وبعضها كان ملائما لما حققه المجتمع المسلم، من تقدم في عملية البناء وإرساء لتعاليم الإسلام، فلم تنزل إلا فيه. وصفات الظاهر وجوبها في كل حال، فورد طلبها في الحاليين.

- المسلك الثالث: الاعتماد على دراسة الأوصاف من منطلق تفاعل النفس مع واقعها: ويتأتى ذلك عبر دراسة وتقسيم الأوصاف المطلوبة بحسب علاقة مدلولها بالنفس ومنهج تزكيته؛ أي بحسب مرحلة الفهم لمضمون الوحي أولا، ثم بحسب الحكم على المواقف ثانيا، ثم بحسب صدور الفعل من المرء -لازما أو متعديا- ثالثا، وأخيرا بحسب الدوام على الفعل ليصير وصفا لصاحبه، وتفصيل توزيع هذه الأوصاف على المراحل الأربع هو على النحو التالي:

1- الأوصاف المتدخلة في عملية الفهم: يدخل في هذا القسم **التعقل**، وهو بمعنى إعمال العقل في النظر والتلقي لمضمون الإخبار -الوحي-، وكذا **حصول العلم** من خلال الوحي، وأخيرا **صفة التفكير** في آيات الآفاق والأنفس من حيث دلالتها على صدق الإخبار بالغيب.

2- الأوصاف المتدخلة في عملية الحكم: يندرج فيها ما كان محفزا، سواء بخير يُرجى ويُطلب وهي صفات **التضرع** و**حصول الرحمة** و**طلب الفلاح** و**النصر**، أو بشر يُخشى ويُدفع وهي صفتي **الحذر** و**الخشية**. ويدخل كذلك استحضر ما كان معلوما ونُسي أو لم يُسحب على الواقعة ابتداء، وذلك بصفة **التذكر**.

3- الأوصاف المتدخلة في عملية الفعل: باعتبار أن مكونات المواقف التي يتفاعل المرء معها هي: **النعم** و**نفسه** و**أناس** آخرون (بشكل عيني أو على الأقل كفائي)؛ فيكون التعامل في المواقف مع النعم بالتصرف فيها بما أمر الله جل جلاله، وهو وصف **الشكر**، وكذلك التعامل مع حظ النفس من منطلق وصف **التقوى**، وأيضا اعتبار حقوق الناس وواجباتهم، وهو وصف **الشهادة لله بالحق**، ليكون كل ذلك جهد المرء في تلمس صراط الله المستقيم وهو صفة **الاهتداء** إليه.

4- الأوصاف المحافظة للدوام على الوصف: يدخل في تشكيل الصفات التي يدأب عليها الناس ما كان ثابتا مقررًا عندهم، وهو ما يرجع إلى وصف **اليقين في الإخبار**. ويدخل في ذلك أيضا التعامل المستمر مع **الافقار**، قبولًا وتسليما لأنها تجري وفق ما أخبر الله به، وهو وصف **الرضى**، ويدخل فيه كذلك الدأب على **الرجوع إلى الله** في مقابل اتباع نوازغ النفس وملاذاتها، وأيضا يدخل اعتماد **الانتهاء عن السوء** كموجه ومحفز في الأعمال. وأخيرا بلوغ المرء صفة **التفقه** في الدين بمعرفة منطلقات الأمور ومآلاتها وسبلها.

وتبقى إضافة هذا المسلك في عملية استنباط خريطة للترقي في سلم التزكية مهمة، وذلك لأن منشأ اقتراحه هو النفس وأحوالها وتفاعلها مع الواقع.

وبجمع مخرجات المسالك الثلاثة، يمكن وضع خريطة لترقي النفس في سلم التزكية، وذلك بضبط تعاملها "فهما وحكما واتصافا وتعاملا" مع الواقع - خلال الابتلاءات والأقدار - من منطلق الوحي، مع التركيز على ثنائية التذكر والشكر، وثنائية الاهتداء والفلاح، وثنائية التعقل وحصول الرحمة، وثنائية التفكير والتقوى، لورودها في المشترك بين القرآن المكي والمدني المشتمل على جميع أحوال الأمة زمن تنزل الوحي؛ وهو ما يعني التركيز على مراحل الفهم والحكم والفعل - الذي ينتج عنه الاتصاف والتعامل - المتعلقة بالنفس، لأن الثنائيات سالفه الذكر متمركزة في هذه المراحل، وهو ما ينتج عنه إرجاء الحديث عن "المحافظة والدوام على الوصف" وإفرادها بمطلب مستقل.

وبما أن طبيعة النفس نَزْعُهَا لمصلحتها ولما ترى فيه خيرا لها فتصبر على كل المشاق في سبيله، ومن طبيعتها أيضا نفورها مما ترى فيه شرا عليها وتعللها بما يفضي بها إلى تركه؛ لهذا فالتصور المولد لدى النفس عن أي أمر هو الحاكم في طبيعة تصرفها حياله؛ فقد هذا جاء الوحي ليعلم الناس ويبين لهم حقائق الأشياء والأمور كلها مصداقا لقوله تعالى {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ} (النحل 89).

وكانت أول مرحلة لتزكية النفس هي مرحلة الفهم لديها، أي تكوينها للتصور حول الأمور والأشياء - من نفس أو مال أو أقدار وما إلى ذلك -، ببيان حقائقها وما غُيِّبَ عن النفس منها، وما جُعِلَ للنفس من آثار تدل عليها في العالم المشاهد؛ فكان المنهج هو عرض ما يجب على الناس لتعقل الحقائق، وإمعان النظر والتفكير فيها ليحصل فهم وقبول الحكم.

وقد برز ذلك جليا في دعوى الكتاب، حيث تكفل الله سبحانه ببيان آياته للناس بغرض توجيه أنفسهم إلى ما به تُبْنَى الحقائق، وما به يحصل العلم بها، وذلك تعقلا للإخبار لقوله تعالى {كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (البقرة 242)، وأيضا تفكرا في الآثار لقوله سبحانه {كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ} (البقرة 219).

فإذا حصل للنفس ذلك، أي حصول العلم تعقلا للحقائق وتفكرا في آثارها ومناطاتها، امتلك صاحبها تصورا واضحا حول الخلفية العلمية المؤطرة لحيطه، خيرا وشرها.

كما أن تفاعل النفس مع وعود الكتاب التي بها تستجلب رحمة الله ويرجى من خلالها الفلاح، وتفاعلها مع وعيده الذي يجب أن يُحذَر منه ويخشى على النفس منه؛ يُرجى منه تمكن النفس من المحفزات الصحيحة للحكم إما بالفعل أو الترك، فلا يَسُوغُ لها حينها ألا تطلب ما فيه خير لها - وهو سبيل الرحمة والفلاح -، وهي حذرة من أمر الله ومعظمته له.

فإذا حَصَلَت النفس العلم المقبول، ونتج عنه حكم سوي في المواقف، تُرْجَم الحكم إلى فعلٍ -والترك فعل النقيض- متعلقٍ بالعناصر المكونة للمواقف التي يعيشها المرء عموماً، والتي هي النعم والنفس والأشخاص الآخرين؛ لذلك كان دعاء الذين يتقبل الله منهم قولهم { رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دُرِّتِي إِلَهِي } (الأحقاف 15)، فطلبوا السداد والتوفيق لشكر أنعم الله، وكذا التوفيق للعمل الصالح، وكذا الشهادة لله بالحق بالتوبة من الذنوب والولاء للمسلمين بالإعلان بأنهم منهم.

فكانت خريطة التزكية المقترحة تقوم على ما يحسن به الفهم، بتحصيل العلم تعقلاً في حقائق الكتاب وتفكراً فيما جرت به الأقدار في المخلوقات، وما يحسن به الحكم، بأن يكون المخفز طلب الخير والإعراض عن الشر الموافقين لما في الكتاب، وأخيراً ما يحسن به الفعل، شكراً للنعم وأداءً لحقوق العباد وتحيزاً للحق بدل النفس في كل أمر.

المطلب الثالث: وسائل الحفاظ على آثار التزكية من الانحراف والضمور

لقد سبق وضع تعريف لانحراف النفس عن التزكية في المطلب الثالث من المبحث السابق، بأنه "خروج النفس عن إذعانها لسلطة الوحي عليها إلى ما تراه هي حاكماً لها -وافق ذلك الوحي أم خالفه-"، أي اتباعها للهوى حكماً وفعلاً. كما سبق أيضاً، في نفس المطلب، الإشارة إلى العوامل، الداخلية والخارجية عن النفس، التي تعين على هذا الانحراف.

وأخيراً سبقت الإشارة أيضاً، في المطلب السابق، إلى الأوصاف الطلبية التي تعين على الدوام على التزكية، وهي: اليقين في الإخبار والرضى والرجوع إلى الله والانتفاء عن السوء والتفقه.

وعليه، فإن الهدف في هذا المبحث بيان كيفية حماية النفس من كل العوامل التي تخرجها عن إذعانها لسلطة الوحي عليها، إلى ما تراه هي حاكماً لها؛ وذلك بذكر مسببات الانحراف. وتفصيل ذلك، بحسب منهج تزكية الأنفس بين الفهم والحكم المؤسس للفعل (والفعل متضمن للتصاف والتعامل) وكيفية تلافيه؛ فأما المسببات فهي على النحو التالي:

- عوامل الانحراف في الفهم: لقد سبقت الإشارة إلى أن الفقه أخص من العلم، لذلك كانت أول مراتب الانحراف في الفهم انتفاء العلم عن المعين، وهو -انتفاء العلم- سمة غالبية الناس لقوله تعالى { وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } (الأعراف 187). وقد تبدأ درجة الانحراف هذه من [مخالفة تصور الشيء في عقل المعين عما هو عليه حقيقة]، كما في قوله تعالى { وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } (الأنعام 37)، إلى أن يصل إلى درجة غياب تصور الشيء في عقل المعين عما هو عليه حقيقة، كما في قوله تعالى { وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ } (الأنعام 59).

ثم تأتي بعد مرتبة انتفاء العلم عن المعين في انحراف الفهم، مرتبة انتفاء الفقه عنه، فتقلب عنده المفاهيم الحقبة بنقيضها؛ ومثال ذلك إن كان لازم معرفة الحق تعظيم الله! فإن الذي لا يفقه يعظم ما دونه سبحانه، ومن ذلك قوله تعالى في حق المنافقين {لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ} (الحشر 13)، وكذا قوله تعالى في حملهم الكلام على خلاف ما أريد منه {قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا} (الفتح 15).

ومن أهم الضوابط المتعلقة بمرتبة فقه النفس هو ارتباطها بالقلب أولاً، وذلك جلي في قوله تعالى {لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا} (الأعراف 179)، ثم كون عدم فقه القلب لحقائق الأمور ناتج عن طبع الله عليه¹¹⁹ ثانياً، وقد قال جل جلاله في ذلك {وَطُيْعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ} (التوبة 87). لذلك بلغ شأن القلب بالنسبة للنفس مبلغاً، حتى صار مرآة ما يقر فيها وما يتحدّر، وحتى جعل كسب القلب هو المعبر والمحاسب عليه لقوله تعالى {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ} (البقرة 225).

لذلك، وباستثناء الخطأ -وأما النسيان فموضع استثنائه هو عند الحكم-، فإن انحراف الفهم يؤدي بصاحبه إلى: الجهل بأمر الله، والغفلة عنه، والضلال عن الوجهة التي حدث له؛ فلا يستطيع فقه حقائق الأمور ولا سماع الحق ولا إبصار قيام الخلق بمقتضاه، وفي ذلك قال تعالى {لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} (الأعراف 179).

- عوامل الانحراف في الحكم: إن الهدف الأساس من تنزل الوحي، هو إخراج المكلف من داعية هواه إلى مراد الشارع سبحانه، لذلك كانت الخطوة الأولى في الانحراف عند استصدار النفس للحكم، هي عدم إذعان صاحبها لأمر الشارع سبحانه، ثم عدم الاجتهاد في محاولة موافقة حكمه -فيما يعرض عليه من أمور ومواقف- لحكم الشارع سبحانه؛ فلا يكون ممن يَحْكُمُ على أمر بالخيرية إذا كان وفق مقتضيات الوحي¹²⁰ خيراً، ولا يكون ممن يحكم على أمر بأنه شر إذا كان شراً بسند من الوحي، فيكون بذلك محركه هو الهوى وما أشربه.

فأما عدم الإذعان لأمر الشارع فمرده أساساً إلى ما يُعْظِمُهُ المرء وما يُعْلِي من شأنه -في مقابل الوحي- من متاع الحياة الدنيا؛ لذلك كثر ذكر هذه المقابلة بين الحياة الدنيا وبين ما وعد الله به عباده مما أوحى به، ومن ذلك قوله تعالى {وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ} ﴿١٠١﴾ وَأَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ} (القصص 60 و61).

فلما كان أساس تصور هذه العينة من الناس عن الدنيا والآخرة خاطئاً، لأنهم حرموا الفهم عن الله، صاروا غير قادرين على النظر إلى الدنيا والأقدار إلا من جهة ما هو ظاهر وملموس منها، لذلك قال فيهم الله تعالى {يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ} (الروم 7)، فكانت الدنيا هي المحدد للحكم عندهم حتى تعلق الرضا بما لقوله تعالى {وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا} (يونس 7).

وأما الخطوة الثانية في الانحراف عند استصدار النفس للحكم، وذلك من خلال حكم النفس بما يراه هواها، فهو امتداد لما تعظمه النفس وتقدره؛ بحيث يختار المرء الدنيا ولمذاقها في مقابل أمر الله ووعدته ووعيدته، وقد قال سبحانه في ذلك {بَلْ تَوَثَّرُونَ} (الغاشية 16 و 17).

والحسرة على من -من هؤلاء- قىض الله له شيطاناً قريناً، يصده عن السبيل ويزين له عمله، حتى يرى نفسه على خير فيهلكه، وقد قال فيهم الحق سبحانه {وَمَنْ يَعَشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ يَقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ} وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ} (الزخرف 36 و 37).

- عوامل الانحراف في الفعل: لا بد للمرء من فهمٍ يؤطر تصوره لمحيطه، ثم يأتي حكمه على الأقدار والمواقف التي يعايشها، فينتج عن الحكم -الذي انخرق بصاحبه عما جاء الوحي به- أفعالا تترجمه وتخرجه للعلن؛ لذلك كان أساس النظر في هذا المحور هو الأفعال التي تترجم ما يطرد في المرء اتصافاً، وما ييسمُ تعامله مع محيطه.

وقد ورد في القرآن الكريم عدة أوصاف وقيود لأعمال المكلفين وأقوالهم، بين الصلاح والفساد وبين الحسن والسوء أثراً وحكماً، ولكن المشترك بينها من جهة المنشأ هو كونها إما طاعة لله أو معصية لأمره.

فما كان مخالفة ظاهرة لأمر الله عن قصد فهو معصية، وحتى ما كان ظاهره الصلاح والحسن، وكان منشؤه هو الهوى والرياء، أو غيرها من مفسدات الأعمال، فهو سيقى معصية لله، يقع أثرها على مقترفها ويكتب عليه إثمها. وما كان امتثالاً لأمر الله عن قصد فهو طاعة، وما كان ظاهره الفساد والسوء، إلا أن منشأ الاجتهاد في الامتثال إلا أن صاحبه أخطأ المراد، فهو طاعة، يقع أثرها على فاعلها ويكتب أجراها؛ لذلك، فدراسة الفعل من حيث هو معصية أولى في تبين ضوابطه.

ويدور معنى مصطلح المعصية بين عدم الإتيان¹²¹ ومخالفة للأمر¹²² و الشدة والصلابة في عدم الطاعة¹²³، وقد ورد هذا المصطلح في موضعين من القرآن الكريم، مضافاً إلى مصطلح الرسول، وذلك في قوله تعالى {وَيَتَنَجَّجُونَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ} (المجادلة 8)، وكذا قوله جل في علاه {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّجُوا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ} (المجادلة 9)؛ فذكرت المعصية كوصف -من بين ثلاثة أوصاف- للأمر المنهي عنه: وأول هذه الأوصاف الوزر الذي يلحق

مقترفه وهو الإثم، والثاني الأثر المترتب عنه والمتعدي إلى الغير وهو العدوان، والآخِرُ مقابلة هذا الفعل لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم؛ وذلك عبر الاتصاف والتعامل بغير ما بلغ به الناس وهو المعصية.

وينتج عن المعصية أثر في الدنيا بحسب قدرها وحال مقترفها، وأول الأثر يبدأ بالنكته السوداء في القلب، كما سبق ذكره في حديث عرض الفتن على القلوب، ثم يتبع ذلك ابتلاءات التمحيص، التي تُفْضِي إلى يَتَبَيَّنُ حال القلب ومعرفة سبيل صاحبه، وقد قال تعالى في ذلك {كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} (الأعراف 163).

وأما عن كيفية تلافي انحراف النفس عما أمرت به، بمقتضى ما تقدم، فيلزم تجنب الفهم بحسب الهوى، والحكم في المواقف بحسب الهوى، ثم الاتصاف والتعامل مع الغير بحسب الهوى، لذلك كان مفتاح كل ذلك هو نهي النفس عن اتباع هواها أو عن اتباع أهواء الناس لقوله جل في علاه {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ} (النازعات 40 و41).

ويقوم هذا التلافي على الرجوع إلى «القرآن الكريم، في عرضه للواجب تجاهه، فإن المكلف ملزم بدراسة ما فيه لقوله تعالى {أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ} (الأنعام 156). وذلك بضابطين اثنين: أولهما التعقل، لقوله تعالى {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (يوسف 2). والثاني هو التفكير، لقوله تعالى {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبِهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} (الحشر 21)»¹²⁴.

خاتمة

في ختام هذا البحث، والذي عمدت فيه إلى وضع الأسس الأولية لتحديد النظر إلى علم التزكية، وذلك من خلال ضوابط منهجية ومعرفية مستفادة من عملية استقراء للقرآن الكريم للمفاهيم المرتبطة بعملية التزكية، ثم دراسة الروابط بينها عبر منهج تحليلي؛ وذلك بغية الخلوص إلى تجلية بعض الضوابط المنهجية والمعرفية المؤطرة لعلم التزكية.

وقد عاجلت في هذا المقال إشكالية مدى استيعاب المفهوم الذي يعرضه القرآن الكريم للتزكية، وضوابطه المنهجية والمعرفية في التلقي والفهم، وفي التمثل والتفاعل مع الناس، وتوظيفه في عملية بناء الفكر.

فخلصت إلى عدة استنتاجات، تركز على ضرورة ضبط مفهوم التزكية من خلال مكوناته لا من مجرد أثره، وهي النفس ومستويات تفاعلها مع الوحي وأثره عليها، وأذكر من الضوابط المنهجية المستخلصة والواجب اعتبارها التالي:

- ضبط مفهوم التزكية من خلال دراسة وضبط مكونات التعريف الذي خلص البحث إليه.

- وجوب معرفة النفس من خلال الوحي وما جعله حاكما لها، وكيفية تأثرها بالأعمال، وما حد لها من حقوقها على صاحبها، وما يصيبها إن دُسَّت.
 - وجوب ربط النفس بمجموع الأوصاف التي جعلت علة لما كُلفت به، وذلك من خلال دراسة تعلق أقسام هذه الصفات بالنفس وما ذُكرت به في الوحي.
 - ضبط منهج تزكية النفس من خلال مراحل تفاعلها مع الوحي والأقدار، فهما واتصافا وتعاملا.
 - مركزية الحكم الذي تستصدره النفس على المواقف والأشخاص والنعم والحقائق في التزكية أو في انحرافها عنها.
 - ضبط صور انحراف النفس عن منهج التزكية فهما واتصافا وتعاملا.
 - وجوب ضبط أثر وعمل الشيطان، كعامل خارجي مؤثر سلبي علة تزكية الأنفس، من خلال أهدافه وأفعاله.
- وأما بالنسبة للضوابط المعرفية الواجب التمكن منها لتزكية الأنفس، فأذكر منها إجمالا أن:
- مركزية التقوى كوصف جامع لباقي الأوصاف التي طلب من المكلف اكتسابها، إما بكونها —أي التقوى— غاية لها أو مختصة بها، أو بكون الصفات الأخرى غاية للتقوى أو مختصة بها.
 - ضبط علاقة التقوى بالنفس خلال استصدارها للحكم على المواقف، وتصديق هذا الحكم بالعمل بمقتضاه.
 - ضبط خريطة الترقى في عملية التزكية، بضبط الأوصاف المتدخلة في عملية الفهم ثم الحكم ثم الاتصاف ثم التعامل.
 - المحافظة على تزكية الأنفس من خلال ضبط عوامل الانحراف عنها خلال مرحلة الفهم والحكم والفعل المتضمن لما يكون صفة لازمة وما يكون معاملة مع الغير.
 - مكانة وأثر التذكرة والاتعاظ في حفظ الأنفس عن الانحراف عن التزكية.
- وفي الأخير، يمكن القول بأن عمل المكلف على تزكية نفسه، في ظل غياب أعمال كل هذه المحامل عند فهمه وحكمه وفعله المؤثر على ما يتصف به ويتعامل به، سوف يمتنع عليه مواكبة تذبذب نفسه وتردها بين ما أراد الشارع منها وما تحواه وتخلد إليه؛ لذلك يعتبر هذا العمل لبنة أولى في بناء علم التزكية وفق خلفية مستمدة من استقراء الكتاب الحكيم، قد يكمل بدراسة باقي مسالك استخلاص الأوصاف المطلوب تمثلها، وتعميق النظر في ترتيب الأوصاف من حيث الطلب.

- ¹ ابن فارس، أحمد، 1399هـ. معجم مقاييس اللغة. دار الفكر. ج 3. ص 17-18
- ² ابن منظور، محمد، 1414 هـ. لسان العرب. ط 3. بيروت. دار صادر. ج 14 ص 358
- ³ القرطبي، محمد، 1384 هـ. الجامع لأحكام القرآن. ط 2. القاهرة. دار الكتب المصرية. ج 2. ص 235
- ⁴ الحارلي، علي، 1418 هـ. تراث أبي الحسن الحارلي المراكشي. الرباط، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي. ص 325
- ⁵ المصدر السابق ص 264
- ⁶ المصدر السابق ص 205
- ⁷ السمالوطي، نبيل، 1418هـ/1998م. بناء المجتمع الإسلامي، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة. ص 124-125
- ⁸ كقوله تعالى {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} (الأنعام 54)
- ⁹ ما يقع على النفس من ظواهر الأمور كقوله تعالى {وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا} (البقرة 72)، أو قوله {وَلَا تُحَرِّجُونَّ أَنْفُسَكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ} (البقرة 84).
- ¹⁰ القرطبي، محمد، 1384 هـ. الجامع لأحكام القرآن. ط 2. القاهرة. دار الكتب المصرية. ج 11. ص 21: وقال فيها القرطبي «الزكوة التي لم تذهب قط والزكوة التي أذنبت ثم تاب»
- ¹¹ ذُكرت النفس المطمئنة، والتي من أوصافها أيضا أنها راضية ومرضية، في قوله تعالى {يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (* ارجعي إلى ربك راضيةً مرضيةً} (الفجر 27 و28)، وذكر النفس اللوامة في قوله تعالى {وَلَا أَقْسِمُ بِاللُّؤَامَةِ} (القيامة 2)، بينما ذكرت النفس الأمارة بالسوء في قوله تعالى {إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي} (يوسف 53).
- ¹² ذكر استكبار النفس عن أمر الله في قوله تعالى {لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا} (الفرقان 21)، وذكر الشح في {وَمَنْ يُوقِ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفٰلِحُونَ} (الحشر 9) و(التغابن 16)، وذكر الحسد في {حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ} (البقرة 109)، وذكر السفه في {وَمَنْ يَزْعُبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ} (البقرة 130)، بينما ذكر الهوى في {أَفَكُلَّمَا حَادَّكُمْ رَسُولٌ مِّنَا لَاتَهَوَّيْ أَنْفُسَكُمْ} (البقرة 87).
- ¹³ قوله تعالى {وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا} (البقرة 48 و123)، وأيضا {يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا} الانفطار 19
- ¹⁴ البقرة 155، آل عمران 145 و168 و185، الأنعام 93، الأنبياء 35، الفرقان 3، العنكبوت 57، لقمان 34، الزمر 42
- ¹⁵ البقرة 281 و286، آل عمران 25 و30 و155 و161، النساء 111، الأنعام 70 و158 و164، الرعد 33 و42، إبراهيم 51، الإسراء 14، طه 15، الأنبياء 47 و102، لقمان 34، والسجدة 17، الزمر 70، غافر 17، الجاثية 22، المدثر 38
- ¹⁶ البقرة 155، آل عمران 186، يونس 30، الأنبياء 35، النمل 40
- ¹⁷ البقرة 233 و286، النساء 84، الأنعام 152، الأعراف 42، المؤمنون 62، النور 61، الطلاق 7
- ¹⁸ النساء 1، الأنعام 98، النحل 72، الكهف 51، الروم 21، لقمان 28، الزمر 6 و70، غافر 17، الشمس 7
- ¹⁹ البقرة 235، المائدة 116، الأعراف 189، هود 31
- ²⁰ لقوله تعالى {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا} (الأعراف 172)
- ²¹ الأنفال 53، الرعد 11
- ²² أنها تُحضر قصرا: النساء 128، ولتزهف أنفس الكافرين وهم كفار: التوبة 55 و85، وأن النفس -المال- هما ثمن الجنة: التوبة 111، وأن الله لا يظلم نفسا: يس 54، وأنه يأتي معها سائق وشهيد: ق 21، وأنها تموت لأجلها ولا تجاوزة: المنافقون 11، وأنها تعلم ما قدمت وأخرت: التكاوير 14 والانفطار 5.
- ²³ النفس غير قادرة على انتصارها: البقرة 48 و128 والأعراف 192 و197 والأنبياء 43، وعلى ما هي عليه من عدم التمكن استقلالاً من الهداية: يونس 108 والإسراء 15 والنمل 92 والسجدة 13 وسبأ 50 والزمر 71، وأنه سبحانه يُري الناس من خلالها آياته: فصلت 53 والشورى 11 والذاريات 21.
- ²⁴ الرغبة بالنفس عن الحق ومراد الله الذي يتبى رسوله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى {مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِّنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ} (التوبة 120)، وفي {الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ} (الأحزاب 6)
- ²⁵ اتباع الهوى في قوله تعالى {أَفَكُلَّمَا حَادَّكُمْ رَسُولٌ مِّنَا لَاتَهَوَّيْ أَنْفُسَكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ} (البقرة 87)، وما تطوع النفس فعله لصاحبها في قوله تعالى {فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ} (المائدة 30)

- ²⁶ وقد ورد تسويل النفس لصاحبها الفعل في معرض الدم، على لسان يعقوب عليه السلام في قوله تعالى {قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً} (يوسف 18 و83)، وأيضاً على لسان السامري في قوله تعالى {وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي} (طه 96)
- ²⁷ فالنفس من تحكم بيقينية الآيات كما في قوله تعالى {وَأَسْتَفْتِيهَا أَنْفُسُهُمْ} (النمل 14)، وهي من تحدد قدر المشقة في قوله تعالى {لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْبِ إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفُسِ} (النحل 7)، بل هي المحددة للفعل المعتمد انتهاء كما في قوله تعالى {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} (الحشر 9)
- ²⁸ كما في قوله تعالى {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكْ مُعَيَّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} (الأنفال 53)، أو قوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} (الرعد 11)
- ²⁹ لقوله تعالى {فَلَا تُلْمُوهُنِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ} (إبراهيم 22) عند استدراك الشيطان في اليوم الآخر على من تبعه بأنه لم يجبره وليس له عليه سلطان
- ³⁰ لقوله تعالى {مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلَا نُفْسِيهِمْ يُهْدُونَ} (الروم 44)
- ³¹ لقوله تعالى {إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا} (الإسراء 7)
- ³² قوله {فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَأَمَّا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّٰ فِيمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا} (يونس 108)، وفي (الإسراء 15) و(النمل 92) و(الزمر 41) و(سبأ 50)
- ³³ لقوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} (التحریم 6)
- ³⁴ لقوله تعالى {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ} (النازعات 40)
- ³⁵ ومن ذلك حثها على ذكر الله في النفس وعدم الغفلة عن ذلك في قوله تعالى {وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعاً وَخَيْفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ} (الأعراف 205)، وأيضاً تثبيت النفس لقوله تعالى {وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ أَتْبَعَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنْفُسِهِمْ} (البقرة 265)، ثم الإنفاق لقوله تعالى {وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ} (البقرة 272)
- ³⁶ لقوله تعالى {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا} (*) فَالْهَمَّهَا فَجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (*) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا { (الشمس 7 و8 و9)
- ³⁷ في سياق تقديم الخير قوله تعالى {وَمَا تَقْدُمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ يَّجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ} (البقرة 110)، وفي سياق تقديم ما هو شر للنفس قوله تعالى {تَرَىٰ كَثِيراً مِّنْهُمْ يَقُولُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيْسَ مَا قَدَّمْتُ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ} (المائدة 80)، وما شمل النوعين جميعاً في قوله {أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} (الحشر 18).
- ³⁸ ففي معرض الدم قوله تعالى {بِفَسْمَا أَشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} (البقرة 90)، وفي معرض المدح قوله تعالى {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ أُتْبَعَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ} (البقرة 207)
- ³⁹ بن الحجاج، مسلم، 1334 هـ. المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "صحيح مسلم". تركيا. دار الطباعة العامرة. ج 1 ص 140. رقم الحديث 223، من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه في كتاب الطهارة
- ⁴⁰ البقرة 54 و57 و231، آل عمران 117 و135، النساء 64 و97 و110، الأعراف 23 و160 و177، التوبة 36 و70، يونس 44 و54، هود 101، النحل 28 و33 و118، الكهف 35، النمل 44، القصص 16، العنكبوت 40، الروم 9، فاطر 32، الصافات 113، الطلاق 1
- ⁴¹ لقوله تعالى {فَلَمَّا أَتَاهُمْ إِذَا هُم بِبَعُوثٍ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ بِأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ} (يونس 23)
- ⁴² آل عمران 69، يونس 108، الإسراء 15، النمل 92
- ⁴³ لقوله تعالى {يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ} (البقرة 9)
- ⁴⁴ لقوله تعالى {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَوْمٍ مُّجْرِمِيهَا لِيَنْمَكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ} (الأنعام 123)
- ⁴⁵ يمكن العمل على تلمس معالم تركية النفس على عدة أصعدة من خلال القرآن الكريم، ومن ذلك تتبع التكاليف التي لا تأمر النفس إلا بخير، أو تتبع النواهي لأن الوحي لا ينهى إلا عن شر؛ لذلك اكتفيت بالعمل على مسارين يعالجان الصفات المأمور بهن أو بطلبهن في القرآن الكريم.
- ⁴⁶ صافي، محمود، 1416 هـ/1995م. الجدول في إعراب القرآن. ط 3. دمشق. دار الرشيد. ج 8. ص 372.
- ⁴⁷ درويش، محيي الدين، 1415 هـ، إعراب القرآن وبيانه. ط 4. دمشق - بيروت. دار ابن كثير. ج 6. ص 198. ويحسن الإشارة إلى أنه لا يكون إلا في الشيء المحبوب عند المخاطبين، فقد ورد قوله تعالى {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ} (يس 74) والله لا يحب لنا الكفر ولا أن ينتصر الكافرون على المؤمنين.
- ⁴⁸ بن أبي طالب، مكي، 1429 هـ/2008م. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمال من فنون علومه. الشارقة. مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة. ج 7. ص 4646
- ⁴⁹ الطاهر بن عاشور، محمد، 1984م. التحرير والتنوير. تونس. الدار التونسية للنشر. ج 1. ص 330.
- ⁵⁰ الحارلي، علي، 1418 هـ. تراث أبي الحسن الحارلي المراكشي. الرباط، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي. ص 166.

- 51 المصدر السابق ص 216.
- 52 قول صاحب يوسف عليه السلام لما رجع إليه مستعلما عن تأويل رؤيا (من شعب النبوة) {لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ} (يوسف 46)
- 53 في قوله تعالى {أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ} (الأنعام 65)
- 54 في قوله تعالى {اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمُوتَ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُؤْفِقُونَ} (الرعد 2)
- 55 في قوله تعالى {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} (البقرة 186)
- 56 البقرة 73 و 242، الأنعام 151، يوسف 2، النور 61، غافر 67، الزخرف 3، الحديد 17
- 57 البقرة 219 و 266، الأعراف 176، النحل 44، الحشر 21
- 58 البقرة 221، الأنعام 152، الأعراف 2 و 26 و 52 و 57 و 130، الأنفال 57، إبراهيم 25، النحل 90، طه 44 و 113، النور 1 و 27، القصص 43 و 46 و 51، الزمر 27، الدخان 58، الذاريات 49
- 59 في قوله تعالى {فَقُولُوا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} (طه 44)
- 60 وذلك في قوله تعالى {فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَصْزَعُونَ} (الأنعام 42)، وقوله تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَصْزَعُونَ} (الأعراف 94)
- 61 الأعراف 168 و 174، يوسف 62، الأنبياء 58، الروم 41، السجدة 21، الزخرف 28 و 48، الأحقاف 27
- 62 في الآية {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} (التوبة 122)
- 63 في قوله تعالى {وَإِن نَّكُنَّا لَأِيمَانِهِمْ مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَمَانًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ} (التوبة 12)
- 64 وهو الموجه لما يطلبه المكلف مما تعلق بخالفه وورد بصيغة التعليل (كابتغاء): ابتغاء مرضاة الله البقرة 207 و 265 و 272، النساء 114، الممتحنة 1، ثم ابتغاء وجه الله البقرة 272، الرعد 22، الأعلى 20، ثم ابتغاء فضل الله المائدة 2، النحل 14، الإسراء 66، القصص 73، الروم 23 و 46، فاطر 12، الجاثية 12، الفتح 29، الحشر 8، ثم ابتغاء رضوان الله المائدة 2، الفتح 29، الحديد 27، الحشر 8، ثم ابتغاء رحمة من الله الإسراء 28،
- 65 البقرة 21 و 63 و 179 و 183 و 187، الأنعام 51 و 69، الأنعام 153، الأعراف 164 و 171، طه 113، الزمر 28
- 66 البقرة 52 و 56 و 185، آل عمران 123، المائدة 6 و 89، الأنفال 26، إبراهيم 37، النحل 14 و 78، الحج 36، القصص 73، الروم 46، فاطر 12، الجاثية 12
- 67 لقوله تعالى {ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ} (الأنعام 154)
- 68 لقوله تعالى {فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى} (طه 130)
- 69 لقوله تعالى {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ بِنِعْمَتِهِ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ} (النحل 81)
- 70 لقوله تعالى {قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ} (الأنبياء 61)
- 71 البقرة 53 و 150، آل عمران 103، الأعراف 158، النحل 15، الأنبياء 31، المؤمنون 49، السجدة 3، الزخرف 10
- 72 البقرة 189، آل عمران 130 و 200، المائدة 35 و 90 و 100، الأعراف 69، الأنفال 45، الحج 77، النور 31، الجمعة 10
- 73 آل عمران 132، الأنعام 155، الأعراف 63 و 204، النور 56، النمل 46، يس 45، الحجرات 10
- 74 لقوله تعالى {وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ} (يس 74)، فبالخلف، اتخذا الله وليا هو المفضي إلى النصر
- 75 طلبا بمعنى اجتهدا في طلبها ما أمكن، حيث حرف الي [لا] في قوله تعالى {كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} عدم الفعل بالمرة ومطلقا، فبالتالي فوجه الذم هنا هو ما نترك فعله مطلقا، لا ما قد نفعله ولكن بتقصير أو بانقطاع.
- 76 جاء ذلك في قوله تعالى {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} (البقرة 37)، وكذا في قوله تعالى {إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ} (النور 15)، وأخيرا في قوله تعالى {وَإِنَّكَ لَتَلَقَّى الْفَرَّانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ} (النمل 6)
- 77 القرطبي، محمد، 1384 هـ. الجامع لأحكام القرآن. ط 2. القاهرة. دار الكتب المصرية. ج 1. ص 323
- 78 ابن فارس، أحمد، 1399 هـ. معجم مقاييس اللغة. دار الفكر. ج 4. ص 109
- 79 المصدر السابق ج 4 ص 457
- 80 المصدر السابق ج 4 ص 442

- 81 بتصرف: الجرجاني، علي، 1403هـ - 1983م. التعريفات. بيروت. دار الكتب العلمية. ص 155
- 82 ويلاحظ في تعريف الجرجاني استحضار بعض المقدمات الكلامية والأصولية، وهذا مقبول بالنظر إلى كونه رام في كتابه التعريفات الاصطلاحية
- 83 الحارلي، علي، 1418 هـ. تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي. الرباط، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي. ص 161
- 84 الجرجاني، علي، 1403هـ - 1983م. التعريفات. بيروت. دار الكتب العلمية. ص 169
- 85 المصدر السابق ص 168
- 86 لقوله تعالى { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ } (*) إِلَّا مِنْ رَحْمِ رَبِّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ { سورة هود 118 و 119
- 87 قوله تعالى { فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبُيُوتُ } (*) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ (150) أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكَهِمْ يَقُولُونَ (151) وَلَكَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَادِبُونَ (152) أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ (153) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (154) أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (155) { (الصفات، 149-155)
- 88 القرطبي، محمد، 1384 هـ. الجامع لأحكام القرآن. ط 2. القاهرة. دار الكتب المصرية. ج 8. ص 342
- 89 القرطبي، محمد، 1384 هـ. الجامع لأحكام القرآن. ط 2. القاهرة. دار الكتب المصرية. ج 2. ص 25
- 90 ابن عطية، عبد الحق، 1422 هـ. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. بيروت. دار الكتب العلمية. ج 4. ص 306
- 91 بن الحجاج، مسلم، 1334 هـ. المسند الصحيح المختصر من السنن ينقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "صحيح مسلم". تركيا. دار الطباعة العامة. ج 1 ص 89. رقم الحديث 144، من حديث حذيفة رضي الله عنه في كتاب الإيمان
- 92 ابن عطية، عبد الحق، 1422 هـ. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. بيروت. دار الكتب العلمية. ج 5. ص 85.
- 93 ابن عطية، عبد الحق، 1422 هـ. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. بيروت. دار الكتب العلمية. ج 3. ص 402.
- 94 لقوله تعالى { وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا } (النساء 60)
- 95 بأن يعبدوا الشيطان، لقوله تعالى { أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يُبْنِيْ عَادَمُ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ } (يس 60)
- 96 لقوله سبحانه { وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَوْحُونَ إِلَى أُولِيَائِهِمْ لِيُحْدِثُوا فِيكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ } (الأنعام 121)
- 97 لقوله تعالى { فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (الأنعام 43)
- 98 لقوله تعالى { فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنََّّهُم مُّهْتَدُونَ } (الأعراف 30)
- 99 لقوله تعالى { الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } (البقرة 268)
- 100 لقوله تعالى { إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ } (المائدة 91)
- 101 ورد ذلك في البقرة 206 و 212، وآل عمران 15 و 131 و 133 و 172 و 179 و 198، والنساء 77، والمائدة 65، والأنعام 32، والرعد 35، والحجر 45، والنحل 31، والشعراء 90، وص 49، والزمر 20 و 73، والدخان 51 و 56، وق 31، والذاريات 15، والطور 17، والقمر 54، والنبأ 31، والمرسلات 41، والليل 17
- 102 أقصد الأوصاف الطلبية التي تم رصدتها في المطلب الأول من المبحث الأول هي: التقوى، والشكر، والتعقل، والاهتداء، وحصول الرحمة، والتضرع، واليقين، والرجوع إلى الله، والشهادة بالحق، وطلب الفلاح، والتفكير، وطلب النصر، والتذكر، والرضى، والحذر، والانتهاز عن السوء، والفقء، والعلم.
- 103 وردت الدلالة عليها صراحة بهذا اللفظ في البقرة 189، وآل عمران 130 و 200، ووردت مقترنة بابتناء الوسيلة والجهاد في سبيل الله في قوله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } (المائدة 35). وكذا وردت مخصصة بأولي الألباب في قوله { قُلْ لَا يَسْتَوِي الْحَبِيبُ وَالْطَّيِّبُ وَلَوْ أَغْنَبَكَ كَثْرَةُ الْحَبِيبِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } (المائدة 100)
- 104 ووردت أيضا كتكليف متعلق باتباع الكتاب ومفض للفلاح في قوله تعالى { وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } (الأنعام 155)، ووردت أيضا في الأعراف 63 ويس 45
- 105 لقوله تعالى { وَإِذْ تَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } (الأعراف 171)
- 106 لقوله تعالى { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ } (*) فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ { (آل عمران 81 و 82)
- 107 لقوله تعالى { وَلَنُيَقِّنَهُنَّ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } (*) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ { (الأحزاب 21 و 22)

- 108 تفصيل ذلك ورد في قوله تعالى {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} (*) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (*) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} (البقرة 2 و3 و4)
- 109 ابن فارس، أحمد، 1399هـ. معجم مقاييس اللغة. دار الفكر. ج6. ص131
- 110 الجرجاني، علي، 1403هـ - 1983م. التعريفات. بيروت. دار الكتب العلمية. ص65
- 111 القرطبي، محمد، 1384هـ. الجامع لأحكام القرآن. ط2. القاهرة. دار الكتب المصرية. ج1. ص161
- 112 الخراي، علي، 1418هـ. تراث أبي الحسن الخراي المراكشي. الرباط، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي. ص502
- 113 القرطبي، محمد، 1384هـ. الجامع لأحكام القرآن. ط2. القاهرة. دار الكتب المصرية. ج15. ص257
- 114 البقرة 177 و197 و237، وآل عمران 102، والمائدة 8 و100، والأنعام 51، والنحل 81، وطه 113، والحج 32 و37، والنور 52، ولقمان 33، والحجرات 1، والتغابن 16، والطلاق 1، التحريم 6،
- 115 في قوله تعالى {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا} (*) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (*) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَّاهَا (*) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} (الشمس 7 و8 و9 و10)
- 116 أي أنه ما طُلب في السور المكية (مسيوقا بحرف "لعل") ولم يستمر طلبه في السور المدنية (مع إمكان ورود الأمر به)
- 117 وهو ما طُلب في السور المكية (مسيوقا بحرف "لعل")، وطُلب بعدها حتى في السور المدنية (مسيوقا بحرف "لعل")
- 118 أي أنه ما لم يطلب في السور المكية (مع إمكان ورود الأمر به) وطُلب في السور المدنية فقط (مسيوقا بحرف "لعل")
- 119 طَبَعَ اللهُ عَلَى قَلْبٍ مَّكْلَفٍ نَاتِجٌ عَنْ تَكْثُرِهِ عَنْ أَمْرِ اللهِ وَتَجَرُّدِهِ عَلَى الْعِبَادِ، لقوله تعالى {كَذَلِكَ يُطَبِّعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ} (غافر 35)
- 120 معلوم أن ما سكت عنه للوحي يرجع في الاجتهاد لاستنباط حكمه إلى مسالك كالمقاصد والمصالح والمفاسد وما إلى ذلك من مسالك الاجتهاد التي كان الحكم بمقتضاها مسلکا راجعا إلى الوحي وعلومه
- 121 ابن فارس، أحمد، 1399هـ. معجم مقاييس اللغة. دار الفكر. ج4. ص335: قال «الفصيل إذا عصى أمه في اتباعها»
- 122 الجرجاني، علي، 1403هـ - 1983م. التعريفات. بيروت. دار الكتب العلمية. ص222. قال: «مخالفة الأمر قصداً»
- 123 حسن جبل، محمد، 2010م. المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم. القاهرة. مكتبة الآداب. ج1 ص17
- 124 فراوي، محمد، 2021م. الضوابط المنهجية والمعرفية الحاكمة للعملية التفسيرية - خطوة نحو التجديد، الصفحة 194، مجلة التراث، المجلد الحادي عشر، العدد 05. الصفحة 194.

📖 قائمة المراجع والمصادر:

المعاجم

- 1- ابن فارس، أحمد، 1399هـ. معجم مقاييس اللغة. دار الفكر.
- 2- ابن منظور، محمد، 1414هـ. لسان العرب. ط3. بيروت. دار صادر.
- 3- الجرجاني، علي، 1403هـ - 1983م. التعريفات. بيروت. دار الكتب العلمية.
- 4- حسن جبل، محمد، 2010م. المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم. القاهرة. مكتبة الآداب.

كتب إعراب القرآن

- 5- صافي، محمود، 1416هـ / 1995م. الجدول في إعراب القرآن. ط3. دمشق. دار الرشيد.
- 6- درويش، محيي الدين، 1415هـ، إعراب القرآن وبيانه. ط4. دمشق - بيروت. دار ابن كثير.

التفسير

- 7- ابن عطية، عبد الحق، 1422هـ. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. بيروت. دار الكتب العلمية.
- 8- القرطبي، محمد، 1384هـ. الجامع لأحكام القرآن. ط2. القاهرة. دار الكتب المصرية.

- 9- الحراي، علي، 1418 هـ. تراث أبي الحسن الحراي المراكشي. الرباط، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي.
- 10- بن أبي طالب، مكي، 1429 هـ/2008م. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه. الشارقة. مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة.
- 11- الطاهر بن عاشور، محمد، 1984م. التحرير والتنوير. تونس. الدار التونسية للنشر.

كتب الحديث

- 12- بن الحجاج، مسلم، 1334 هـ. المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "صحيح مسلم". تركيا. دار الطباعة العامة.

كتب عامة

- 13- السمالوطي، نبيل، 1418 هـ/1998م. بناء المجتمع الإسلامي. ط 3. دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة.

المقالات

- 14- فرحاي، محمد، 2021م. الضوابط المنهجية والمعرفية الحاكمة للعملية التفسيرية - خطوة نحو التجديد، الصفحة 194، مجلة التراث، المجلد الحادي عشر، العدد 05.

LIST OF REFERENCES AND SOURCES IN ROMAN SCRIPT

1. abn fars, 'ahmadu, 1399ha. muejam maqayis allughati. dar alfikri.
2. abn manzuri, muhamad, 1414 ha. lisan alearbi. t 3. bayrut. dar sadr.
3. aljirjani, eali, 1403ha -1983ma. altaerifati. bayrut. dar alkutub aleilmiati.
4. hasan jabala, muhamad, 2010ma. almuejam aliashtiqaqiu almuasal li'alfaz alquran alkarim. alqahirati. maktabat aladab.
5. safi, mahmud, 1416 ha/1995ma. aljadwal fi 'iierab alqurani. t 3. dimashqa. dar alrashid.
6. drwish, muhyi aldiyn, 1415 ha, 'iierab alquran wabayanuhu. t 4. dimashq - bayrut. dar aibn kathir.
7. abin eatiat, eabd alhaq, 1422 ha. almuharir alwajiz fi tafsir alkitaab aleaziza. bayrut. dar alkutub aleilmiati.
8. alqurtibi, muhamadu, 1384 ha. aljamie li'ahkam alqurani. t 2. alqahirata. dar alkutub almisriati.
9. alharali, eali, 1418 ha. turath 'abi alhasan alharalii almarakishi. alribati, manshurat almarkaz aljamieii lilbahth aleilmii.
10. bin 'abi talba, miki, 1429 ha/2008ma. alhidayat 'iilaa bulugh alnihayat fi eilm maeani alquran watafsirih wa'ahkamih wajamal min funun eulumih. alshaariqa. majmueat buhuth alkitaab walsunat - kuliyyat alsharieat waldirasat al'iislatmiat - jamieat alshaariqati.
11. altaahir bin eashur, muhamadu, 1984ma. altahrir waltanwir. tunus. aldaar altuwnusiat lilnashri.
12. bn alhajaji, muslmi, 1334 ha. almusnad alsahih almukhtasar min alsunan binaql aleadl ean aleadl ean rasul allah salaa allah ealayh wasalam "shih muslimi". turkia. dar altibaeat aleamirati.
13. alsamaluti, nabil, 1418hi/1998m. bina' almujtamae al'iislatmii. t 3. dar alshuruq lilnashr waltawzie waltibaeati.
14. farihaw, muhamad, 2021ma. aldawabit almanhajiat walmaerifiat alhakimat lileamaliat altafsiriati -khatawatan nahw altajdid, alsafhat 194, majalat altarathi, almujalad alhadi eashra, aleadad 05



V .4.0

JOURNAL INDEXING

مَجَلَّةُ التَّرَاثِ

AL TVRATH Journal (ALTJ)

ثلاثية، دولية، دورية، محكمة، تعنى بالدراسات الإنسانية والاجتماعية

متعددة التخصصات، متعددة اللغات

Trimestral, International, Periodic And Arbitrated Manner, Devoted To Human And Social Studies

Multidisciplinary, Multilingual.

LEGAL DEPOSIT: 2011- 1934

ISSN: 2253-0339

E-ISSN: 2602-6813



TOGETHER WE REACH THE GOAL



Scientific Indexing Services



ScienceGate Academic Search Engine



الكشاف العربي
للإستشهادات المرجعية

